جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات نقدية
نقد حديث ومعاصر

رقم: ن/19

إعداد الطالبة:
بويعقدن ندى

يوم:11/ 2024/06م

نقد ما بعد الكولونيالية، دراسة تطبيقية لرواية "الحفيدة الأمريكية" لأنعام كجه جي

لجنة المناقشة:

بشير تاوريريت	أ.د	الجامعةمحمد خيضر بسكرة	المشرف
جميلة قرين	أ.د	الجامعةمحمد خيضر بسكرة	الرئيس
أمال دهنون	أ.مح.أ	الجامعةمحمد خيضر بسكرة	المناقش

السنة الجامعية: 2023م/2024م

شكر وتقدير

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله ما غرد بلبل، وصدح، وما اهتدى قلب وانشرح وما عم فينا سرور والفرح

الحمد لله ما ارتفع نور الحق وظهر، وما تراجع الباطل وتقهقر، وما سال نبع ماء وتفجر وما طلع صبح وأسفر

بفضل الله وعونة وبعد جهد زهثابرة تم انجاز هذا العمل ونسأل المولى عز وجل التوفيق فيه.

أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لاستاذي الفاضل ذو الأصل الكريم الأستاذ المشرف "بشير توريريت" الذي ساهم بتوجيهه ومراجعته الدقيقة ليوصل هذا العمل الى مصاف العمل الأكاديمي

شكر خاص للأساتذة الأفاضل الذين تكرموا علي بعطائهم ولولاهم لما انجز هذا البحث خاصة الأستاذ علي رحماني، مباركي جمال، توريريت نبيلة

برحمدن ندى

الإهداء:

الحمد لله الجليل الحي القيوم ذو الجلال والإكرام والصلاة والسلام على أفضل خلق الله وختام نبيه نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من علمني أن أجتهد وأثابر من أجل الوصول إلى مشارف القمة ومن علمني أن أخوض صعاب الحياة آخذة من الله سندا لي ومن علمي سلاحا إلى من احبني من غير قيود ومن كان أكبر داعما لي إلى من أخذته الموت مني حتى قبل أن أشبع من رائحته وعطفه وحنانه الى جدي الغالي رحمه الله.

إلى من قال فيهما الله عز وجل: "وقل لهما قولا كريما"

إلى التي تجف الأقلام أمام وصفها ووصف طيبة قلبها إلى من صبرت معي من مشفى لآخر لكي تصلني الى ما أنا عليه إلى أمي التي أدعوا الله أن يقدرني لإعادة نصف فضلها علي

إلى الذي رسم الابتسامة على وجهي إلى وطني الكبير الذي طالما أشعرني بالأماني في أحضانه إلى سيد الرجال وأطيبهم والدي الغالي

إلى نصفي الآخر التي كانت لي خير ونيس وأنيس وسند في حياتي إلى التي وقفت بجانبي في أصعب وأمر أوقاتي إلى وتيني وصديقتي فدوى التي كان وجودها كالهدية التي أنعمها الله علي في زمن شحيح من الهدايا.

مقدمة

لقد ظهرت في القرن العشرين مجموعة من المفاهيم المناقضة للأفكار التي جاءت بها الحداثة التقليدية، وسميت هذه الفترة بمابعد الحداثة، حيث حملت في ثناياها عدة أفكار قامت على التشكيك في السرديات الكبرى والأفكار المطلقة وركزت على التعدد والنسبية وخلخلت كل ما هو ثابت.

إن هذه المرتكزات جعلت من الساحة النقدية تربة خصبة لإنتاج مجموعة من التيارات أخذت تجري على ألسنة وأقلام المفكرين والنقاد بإِختلاف اِتجاهاتهم حتى أضحت أشبه بالموضه أو البدعة، التي أطلق عليها النقاد موضت المابعديات.

إن هذه البدعة أنتجت ثمارها عدة نظريات نقدية مثل: النظرية النسوية؛ النقد الثقافي؛ التاريخانية الجديدة؛ نظرية القراءة والتلقي؛ النظرية مابعد الكولونيالية، والتي سنصلط عليها الضوء في دراستنا هذه والتي عنونت بنقد مابعد الكولونيالي دراسة تطبيقية لرواية الحفيدة الأمريكية لأنعام كجه جي.

تعد النظرية مابعد الكولونيالية من النظريات النقدية الجديدة والتي تندرج ضمن حقل الدراسات الثقافية، وتعد هذه النظرية أبرز ما أفرزت ساحة الفكر الغربي في العقود الأخيرة وإذا أردنا تعريف هذه النظرية بشكل بسيط فيمكن القول إنها مجموعة من المقاربات النقدية التي تدرس تأثير الإِستعمار والإمبريالية على ثقافة الشعوب المستعمِرة، والتي تركز على كيفية اِستمرار أَمَارَاتْ الإِستعمار في تنقيح الهوية والثقافة وسياسة واِقتصاد الدول المستقلة حديثا.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الروابط العميقة بين الثقافة والسلطة من خلال ملاحقة الإِستعمار الغربي لدول العالم الثالث وخاصة الشرقية، وكيف سعت هذه الدول الإمبريالية لبسط هيمنتها العسكرية والسياسية على الشعوب المستضعفة، واِستعمالها الخطاب كأفضل وسيلة لدس أفكارها وثقافتها النرجسية داخل أنساق هذا الخطاب، وبهذه الطريقة اِستطاع الغرب أن يتجسد في أبسط تفاصيل حياتنا اليومية، بل أصبح هو القلب النابظ الذي لا نستطيع العيش من دونه.

يعود اِختيار هذا الموضوع اِستجابة لعدة أسباب منها:

أسباب ذاتية:

حب الاِطلاع على هذه مواضيع ولاسيما التي تخص الاِنتماء القومي والوطني، لأنها رغبة كل أصيل يشغله حال أمته ووطنه.

إن التطرق لمثل هذه المواضيع يزيل الحجاب على بصيرتنا ويكشف لنا الحقيقة المخيفة للغرب الذي يسعى بشتى الطرق لطمس هوّياتنا وثقفتنا واِنتمائنا، لنتحول بذلك إلى روبوتات جامدة المشاعر وليس لها أي قدرة على تسيير شؤونها وبذلك يسهل التحكم فيها وتسييرها كما تشتهي سفنهم.

أسباب موضوعية:

إن النظرية مابعد الكلونيالية من المواضيع النقدية المعقّدة والتي تحيط بها هالة من الغموض والإشكاليات خاصة في الساحة النقد العربي.

إن الاِستعمار الآن لم يعد بالضرورة عسكريا بالتلون مرة أخرى كالحرباء التي تغير لونها من وقت لآخر، ولونه هذه المرة هو يسمى العولمة والتي أصبحت أخطر بكثير من الجيوش والدبابات فهي تأثر بطريقة رهيبة على أفكار الجيل الصاعد وتصبغه بصبغتها اللملعونة ومن أجل الحد من نسبة أضرارها علينا أولا أن نعرف الأسباب التي أدت إلى ضهورها وكيفية فهم نهج الذي سلكه الاِستعمار الجديد كي نستطيع تدارك أسلوبه المعاصر وإقافه.

لقد قامت النظرية مابعد الكولونيالية بإعادة النظر في طبيعة النصوص متجاوزة بذلك الدائرة الضيقة للدراسات الأدبية الحديثة، فقد أعطت للناقد فرصة الخروج من الحدود النص إلى مختلف السياقات الإديولوجية والنفسية والتاريخية.

وتقوم إشكالية هذا البحث على مجموعة من الأسئلة منها:

ما هي الحقول الاِصطلاحية للنظرية مابعد الكولونيالية؟

ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور النظرية مابعد الكولونيالية ونقدها؟

كيف اِستقبلت ساحة النقد العربي هذه النظرية وما هي أهم مرتكزاتها؟

كيف يمكننا تطبيق هذه المرتكزات على الخطاب الكولونيالي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، عملنا على هندسة بحثنا في خطة متكونة من فصلين أولهما نظري وثانيها تطبيقي يترأسها مدخل وتختتمها خلاصة ثم كاشف للمصادر والمراجع ومن بعدهما الفهرس.

المدخل: تطرقنا فيه إلى المقابلات الإِصطلاحية لنظرية مابعد الكولونيالية ومن ضمن هذه المقابلات: الاستعمار؛ الإمبريالية؛ مابعد الاستعمار؛ الاستعمار الجديد.

الفصل الأول: قسم لأربعة مباحث، ففي المبحث الأول تطرقنا إلى نشأة النظرية مابعد الكولونيالية، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه أهم المنضرين وأعلام النقد مابعد الكولونيالي منهم فرانز فانون؛ إدوارد سعيد؛ هومي بابا مع أهم الأعمالهم التي مهدت لظهور النقد مابعد الكولونيالي، أما في المبحث الموالي كان من نصيب المرتكزات التي قام عليها هذا النقد، وفي المبحث الأخير تطرقنا إلى النقد مابعد الكلونيالي في البيئة العربية.

الفصل الثاني: إِنقسم بدوره إلى ثلاث مباحث، ففي المبحث الأول قمنا بتقديم تلخيص للرواية وأحداثها، أما المبحث الثاني فكان عبارة على تقديم تعريف بسيط لثنائية، ثم قمنا بإجراء دراسة تطبيقية على ثنائيتين أساستين قامت عليهما الرواية وهما ثنائية الشرق والغرب؛ وثنائية الأنا والآخر، والمبحث الأخير تطرقنا فيه إلى مسألة تشظي الهوية التي كانت تعاني منه بطلت الرواية بعد عودتها إلى الولايات الأمريكية المتحدة.

من أجل السير وفق هذه الخطة توجب علينا اعتماد عدة مناهج أكاديمية نذكر منها:

المنهج الوصفي: إِعتمدناه أثناءعرضنا لدلائل المصطلحات ومفهومها في المخدل

المنهج التاريخي: إِعتمدناه أثناء تتبعنا لنشأة النظرية مابعد الكولونيالية، وكذلك أثناء عرضنا لأعلام النقد مابعد الكولونيالي.

آليات المنهج التفكيكي: حيث إِعتمدناه في الفصل الثاني أثناء تفكيكنا لشيفرات الخطاب الكولونيالي من أجل إِستخراج مرتكزات النقد مابعد الكولونيالية مثل تطرقنا لثنائية الشرق والغرب؛ ثنائية الأنا والأخر...

نحن لسنا بالسباقين لهاذا الموضوع إذ توجد مجموعة من الدراسات السابقة والتي كان لها الفضل في تأسيس دعائم هذا الموضوع نذكر منها: كتاب نظرية الِاستعمار ومابعد الِاستعمار الأدبية "لآنيا لومبا" الذي اِستفدنا منه كثيرا إضافة إلى مجموعة من الكتب للمفكر "بيل شكروفت" مثل كتابه الرد بالكتابة وكتابه دراسات مابعد الكولونيالية مفاهيم رئيسة والذي اعتمدنا عليه في اِستنباط أهم المفاهيم الخاصة بالنظرية والنقد مابعد الكولونيالي والتي تناولها بشكل مبسط، ومن أجل الإلمام بالحيثيات المعرفية لهذا الموضوع اِستندنا على كتب المفكر الفلسطيني "إدوارد سعيد" فقد كانت كتبه من أهم المراجع في هذه الدراسة بما أنه كان صاحب الفضل في اِرساء دعائم هذه النظرية في حقل النقد العربي خاصة من ناحية الأفكار التي تناولها في كتابه المثقافة والإمبريالية وكتابه الِاستشراق والذين اِعتمدنا عليهما لفهم العلاقة بين النص الروائي وسلطة الِاستعمار بالإضافة إلى اِستادنا على بعض الكتب العربة التي تطرقت لهذا الموضوع مثل كتاب مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن "لحفناوي بعلي"، وغيرها من الدراسات.

هذا وقد واجهتنا في اِنجاز هذا البحث بعض الصعوبات منها ماتعلق بضيق الوقت الذي لايسمح بالتركيز على إمتداد المواضيع والإحاطة بجميع نواحيها، إضافة إلى قِلَتْ الدراسات التي تناولت الجانب التطبيقي للنقد مابعد الكولونيالي.

وفي الأخير لايسعنا سوى التوجه بجزيل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "بشير توريريت" الذي أحاط الحبث بعنايته وتدقيقه في أبسط تفاصيله، ليكتمل ويصل إلى مصاف الرسالة الأكاديمية بعدما كانت هذه الأفكار عبارة على صور ذهنية مجردة.

مدخل:

الحقل الاِصطلاحي لنظرية ما بعد الكونونيالية: مفاهيم أساسية

توطئة:

لقد شهد العالم منذ عصور غابرة مشكلات ناجمة عن غريزة حب السلطة والبقاء، حيث نتج عن ذلك انتشار عديد من الحروب في مختلف دول العالم، لأهداف معينة داخل نفس المستعمر إما من أجل توسيع رقعة سلطته وحكمه أو من أجل تعزيز عائداته المادية.

ولقد تحكمت السلطة الإِستعمارية في مصير حياة الشعوب المستعمرة سواء كان ذلك في أوروبا أم آسيا أم أميريكا، خصوص في المناطق العربية في الماضي والحاضر معا، وقد إنجر عن هذا التصادم قطبين متصارعين وهما الأنا والآخر، حيث حاولت الأنا تأكيد وجودها واثبات ذاتها في ضل بوتقة المستعمر.

بيد أن زوال هذا الإِستعمار في عدد من دول العالم الثالث، لا يعني أنه قد نال حريته بشكل تام سواء أكان على الصعيد السياسي أم الثقافي أم الإِقتصادي، بل إن كدمات الإِحتلال راسخة إلى يومنا هذا في جميع مناحي حياة مجتمعات العالم الثالث، ومن خلال هذا جاءت نظرية مابعد الكولونيالية كرد فعل على مختلف أشكال العدوانية التي عانت منها المجتمعات أو الدول المستعمرة، وقد إتخذت من الخطابات الوسيلة المثلى لدعم وبث أفكارها.

لقد كانت لهذه النظرية مقابلات إصطلاحية عديدة قامت عليها ومن أهمها الإِستعمار"colonization"، الأمبريالية "inperialism"، مابعد الإِستعمار "post colonialism"، الإِستعمار الجديد "neo_ colonailism ".

أولا: الإِستعمار colonization / الكولونيالية colonailism:

يقول الناقد "رامي أبو شهاب" أن مصطلح الإِستعمار التقليدي: «يمتلك تاريخية متحولة فقد أصبح ذات مدلول سياسي يشير إلى عملية إِرتبطت بالتحرك الجيوسياسي لبعض القوى للسيطرة والهيمنة على مناطق آهلة، فالجغرافيا هنا مركزية في تملك هذه الكلمة لمفهومها، فالمكان هو

الحيز الذي تقع عليه السيطرة والتملك والمصادرة، وهي الهيمنة على المكان في المقام الأول، وكل ما هو فوق المكان بما يحتوي من مصادر وجود إنساني ».[1]

وفي سياق هذا الكلام فإن الإِستعمار في معناه البسيط هو حركة أو ممارسة سياسية للسيطرة على دولة معينة بشكل مباشر وذلك من أجل إستخدام مواردها لزيادة قوته وثروته.

يرجع "إدوارد سعد" في كتابه "المثاقفة والإمبريالية" أسباب الإِستعمار إلى أهمية موقع الدولة المستعمرة: « إن موضع الرهان والمجازفة إنما هو الأراضي والممتلكات، الجغرافيا قوة كل شيء يتعلق بالتاريخ البشري متجذر، طبعا في الأرض»[2]، وهذا يعني أن الرقعة الجغرافية قد تشكل لعنة على شعبها، فعندما تكون ذات موقع إستراتيجي وذات خيرات، فعندها تكون بؤرة تحوم حولها أطماع الإبراطوريات الكبرى، وذلك بغية تحقيق فوائد إِقتصادية ومكاسب خاصة، ومن أجل الوصول إلى مبتغاه فإن الإِستعمار يتخذ ذرائع زائفة لتجميل صورته أمام العالم لينال حرية التصرف وعدم تدخل أي طرف كان في أعماله، ومن ضمن هذه الذرائع أن شعوب العالم الثالث شعوب مستضعفة ومتخلفة وبذلك فهي لا تستطيع تسيير شؤونها بمفردها ووجب على الأوربي التدخل السريع من أجل حل هذه المشكلة وإنقاذ هاته الشعوب المتخلفة من الضياع وذلك بالأخذ بيدها لمواكبة قطار الحضارة والرقي.

ويرى الناقد "أبو شهاب" أن الإِستعمار التقليدي قائم على احتلال لأراضي أجنبية، غالبا ما يكون متوافقا مع إِستقرار المستوطنين ويتحدد الاستعمار بأشكال مختلفة منها:

الشكل الأول: وهو الإِستعمار الخارجي والذي يكون ما وراء البحار، أي إِستعمار دول خارج إقليم دولة المستعمر مثل: الإِستعمارات الأوروبية لدول العالم الثالث.

الشكل الثاني: وهو القائم على التوسع الإقليمي نحو: الإِستعمار الإسباني للريف المغربي وإِستعمار روسيا لإقليم سيبيريا.

---

[1] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة خطاب مابعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسة والنشر –بيروت– لبنان، ط 2013، ص46

[2] ادوارد سعيد: المثاقفة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع–بيروت– لبنان، ط 2014، ص77

ويضيف الناقد "أبو شهاب" أن هناك ثلاثة أنواع للإستعمار منها: الإستعمار الإستيطاني كما في كندا وروسيا، والإستعمار الغير استيطاني مثل الذي كان في الهند ونيجيريا وسيرلانكا، وهناك المستعمرات التي تم استيطانها بواسطة المهاجرين الأوروبيين وكانت مأهولة بالسكان منها جنوب إفريقيا وزمبابوي.[1]

لقد حاول الإستعمار في إستراتيجية توسعه على مدى قرون غرس أفكاره المتمثلة في نزعة التفوق التي تقر أن الشعوب الأوروبية متقدمة بطبيعتها، أما الشعوب الأخرى هي شعوب متخلفة همجية بطبعها، فالغرب هو الغرب المتقدم الأبدي والبقية هي شعوب متأخرة لن تبرح عن مواصفاتها الدونية[2]، ومن خلال هذا فإن الحركات الإستعمارية لا تركز فقط على الهيمنة السياسية والجغرافية، وإنما تسعى أيضا للتركيز على الهيمنة الثقافية، وإرساخ ثقافتها داخل تلك الشعوب كمحاولة منهم لطمس هويتهم وثقافتهم وهذا ما تحدث عنه "أنطونيو غرامشيAntoni Gramsci " أثناء تطويره لمصطلح الهيمنة حيث أشار إلى تحكم الإيديولوجيات في مجتمع ما والقيم والمعايير المسيطرة كما تنتقل عبر اللغة أي عبر الخطاب، المسلك والملبس ....الخ، وذلك لأن ما هو مهيمن يكون منقول عبر أقوى القوى الموجودة في المجتمع، إنه ما تريد القوى القائم من كل فرد أن يعتقد به، وما تريد لكل فرد أن يسلكه[3]، وقد يأدي طمس الهوية والثقافة للمجتمعات المستعمَرة إلى تراجع لغتهم الأصلية واستبدالها بلغة المستعمِر، وهذا ما أكدته "منظمة اليونيسكو UNESCO " حيث أكدت أن إنتشار بعض اللغات كاللغة الفرنسية والإسبانية والإنجليزية في العالم عائد إلى خلفيات إستعمارية، وتتوقع هذه الهيئة إختفاء نصف لغات العالم بحلول نهاية هذا

[1] ينظر رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة خطاب مابعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر، اص48-49

[2] مداني زقيم وسعيدة جلايلية، اسوارد سعيد النقد الثقافي نموذج من قرائته الطباقية: قلب الظلام لجوزيف كونراد وموسم الهجرة إلى الشمال ل طيب صالح، مجلة أبوليوس، العدد السادس، جانفي 2017، جامعة سوق أهراس، ص6

[3] ينضر إلى رابح مناجلي: الرد بالكتابة في الخطاب الكولونيالي في الرواية الإفريقية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 02 أبو قاسم سعد الله، قسم الآداب واللغة العربة، سنة 2020/2019، ص17

القرن خاصة أن 40٪ من البشر لا يحصلون على التعليم بلغتهم الأصلية وهو ما يهدد باندثار لغتهم [1].

يتداخل مصطلح الإستعمار مع الكولونيالية من الناحية الفنية في الترجمة فهناك من يعتبرهما مصطلحين يندرجان تحت مفهوم واحد وهناك من يفصل بين المفهومين، نجد كل من "بيل شكروفت Bill Ashcroft" و"جاريت غريفيث Gareth Griffiths " و"هيلين تيفين Helen Tiffin" في كتابهم المشترك الموسوم ب: "دراسات مابعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية" فرقون بين كلمتي"Colonialisme" و"Colonisation" «إعتمدنا كلمة كولونيالي لكل من صفة "colonial " والإسم "colonialist" الدالة على شخص يناصر السياسة الكولونيالية بينما إستخدمنا مستعمر للإسم "colonist" الدالة على الشخص المستوطن في المستعمرة أو أحد المؤسسين للمستعمرة وفرقنا كلمتي "colonailism" و"colonisation" بإستخدام الكولونيالية للأولى والإستعمار للثانية»[2].

غير أنه وكما بين الناقد "رامي أبو شهاب هناك من يعد الكولونيالية «نظرية أدبية نقدية»، كما جاءت في لغتها الأصلية وتمييزها إصطلاحي من حيث عدم إختلاطها بالإستعمار ومفهومه السياسي والثقافي والتاريخي، ومركزه فعل السيطرة والاحتلال»[3]، إن مصطلح الكولونيالية ذو أهمية في تحديده لمشكلة الإستغلال الثقافي الذي كان متزامن مع الإحتلال الأوربي، فهو عبارة عن رد فعل ضد الوضع الذي وصل إليه العالم والذي يتمثل في سيطرة الأوربي المتحضر من ناحية العلم والمعرفة، وقيامه بفرض وجهة نظره وأفكاره ومعرفته على باقي الشعوب الأخرى لمدة قرنين أو أكثر وهذا على حسب تقدير "بيل أشكروفت Bill Ashcroft ".

[1] موقع الجزيرة: نصف لغات العالم المهددة بالانقراض.. 6 ألسنة توشك أن تختفي من كلام البشر، 2019/12/12، أطلع عليه 2024/02/13، على ساعة 21:30، https://www.aljazeera.net/culture

[2] بيل أشكروفت، جاريت غريفيت، هيلين تيفين: دراسات ما بعد الكولونيالية– المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي وأيمن حلمي وآخرون، المركز القمي للترجمة العدد1681، ط2010، ص29

[3] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص139

النقطة الرئيسة هنا مع أن الإستعمار إستخدم عدد من الطرق ونماذج للهيمنة، عابر بذلك إلى عمق بعض المجتمعات ومحدثا تماسا ظاهريا مع مجتمعات أخرى، فإن كل أنواع الإستعمار هذه أحدثت إختلال في التوازن في الإقتصادي الذي كان ضروريا في نمو الرأس مالية والصناعة الأوروبية، أو أنه بدون إمتداد إستعماري فإن التحول الرأسمالي لم يكن ليحدث في أوروبا[1].

ثانيا: الإمبريالية Imperialism:

يعرف قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية كلمة "Imperial"على أنها ذات صلة بالإمبراطورية وImperialism على أنها: "حكم إمبراطور خاصة عندما يكون إستبداديا وإعتباطيا؛ مبدأ وروح الإمبراطورية؛ وتأييد ما يعتقد أنه مصالح إمبريالية"، في الواقع فإن ارتباط ما هو إمبريالي بالسلطة الملكية شيء متغير للغاية. بينما كانت الملكية مستثمرة على الصعيد المالي الرمزي في أنماط الإستعمار الأوروبي المبكر، فإن تلك المغامرات كانت في كل حالة نتيجة إهتمامات إجتماعية وطبقية أوسع. وهكذا مع أن رالي "Ralegh" سمى فيرجينيا "Virginia" على إسم ملكته، وتم البحث عن إمتيازات التجارة التي منحة للبريطانيين في الهند وتركيا ليس ببساطة باسم شركة الهند الشرقية بل للبريطانيين ممثلين للملكة إيليزابيث الأولى أو جيمس الأول فإن ما جعل التجارة الإنجليزية والإستعمار ممكنا كان قاعدة أوسع من البائعين والتجار والرأسماليين والإقطاعيين الإنجليز، حيث المشاركة الملكية كانت مدشة أكثر.[2]

إذا الإمبريالية في معناها العام تشير إلى تكوين إمبراطورية، وهي في حد ذاتها ملمحا لكل فترات التاريخ حيث بسطت إحدى الأمم سيادتها على واحدة أو العديد من الأمم المجاورة، يستخدم "إدوارد سعيد" الإمبريالية بهذا المعنى ليدل على الممارسة، والنظرية والمواقف التي ملكها مركز حواضيري مسيطر يحكم أرض بعيدة[3]، ومن هنا يمكننا القولة إن الإمبريالية هي فعل من أفعال العنف

[1] آنيا لومبا: في نظرية الإستعمار وما بعد الإستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع ـ سوريا ـ، الطبعة الأولى، 2007، ص20

[2] آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمارالأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، ص20

[3] بيل شكروفت: ما بعد الكولونيالية، ص205

الجغرافي الذي يمكن من خلاله التعرف أو إستكشاف فضاء في العالم، والتخطيط، من أجل إخضاعه أخيرا للسيطرة أو يمكننا القول أنها عبارة على إنشاء للإمبراطورية والمحافظة عليها.

إن الإمبريالية عملية مميزة عن الكولونيالية التي تقوم على إقامة مستوطنات على أرض بعيدة أو أراضي محتلة، وقد إتفق المؤرخين على أن كلمة الإمبراطورية كسياسة واعية ومؤيدة بشكل علني لإمتلاك مستعمرات من أجل منفعة سياسية واستراتيجية، كما ترتبط الإمبريالية بالإستعمار فإنها ترتبط بمصطلح آخر وهو "الإمبراطورية " ويرى "دوغلاس روبينسونDouglas Robinson" أن الإمبراطورية: "هي كتل عسكرية وسياسة إقتصادية ضخمة تطاول قرون من الزمان والقارات كامة في المكان تشتمل على تفاعلات وتعاملات معقدة من الغزو والمقاومة والإحتلال والإحتواء والدعاية والتعلم والسيطرة الخضوع والهجرة، وقال أيضا أن الإمبراطورية هي نظام سياسي تقوم على السيطرة العسكرية والإقتصادية التي تتوسع من خلالها جماعة معينة سلطتها على كثير من جماعات الأخرى وتعزيزها، وعادة ما تكون هذه الجماعة أمة تسيطر على الكثير من الممم الأخرى.[1]

على حسب وجهة نظر "دوغلاس" فإن الإمبراطوريات تبرنى على أسس معينة وهي:

- الكسب اللإقتصادي: فكلما زادت مساحة الأراضي الخاصة باللإمبراطورية كلما زاد مكسبها.
- الإستراتيجية والأمن: حيث يشكل توسع الأراضي حيز أمني للإمبراطورية.
- الواجبات الأخلاقية: أي وجوب تحرير الشعوب المحكومة بالظلم والشدة من مضطهديها وطغاتها وحماياتهم منهم.

لهم الشعوب المستعمرة، أما في الحالات الأفضل قد يحدث إختلاط وتمازج بين الثقافات وهذا يشكل حياة جديدة في عروق الجماعات النائية المعزولة.

عادة ما تتسبب الإمبريالة في إنشقاقات وعداوات بين الثلة داخل المجتمع الواحد، وهذا من أجل تسهيل التحكم في المجتمعات المغلوب على أمرها والهيمنة عليها، ولكن بأسلوب يختلف عن

[1] دوجلاس روبنسون: الترجمة والإمبريالية ترجمة ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، العدد886، ط2005، ص21-22

أسلوب الإستعمار القديم، الذي يتمثل في الإحتلال العسكري، ومن خلال هذا يمنكن القول إن الإمبريالية أشد قسوة من الإستعمار، لأنها لا تزول بزوال الإمبراطوريات الكبرى بل تتغلغل في الثقافة الخام للمجتمع، وتنسل إلى منشآت سياسية عقائدية واقتصادية مختلفة، كما أنها تتنازل عن السلطة للقومية، وبذلك توسع هيمنتها ولكن بقالب جديد ومختلف، وبهذه الطريقة سوف تقوم بتشتيت وتقسيم الإقليلم الواحد إلى مقاطعات، وتولد بينها نزاعات وحروب داخلية حيث تستغل الإمبريالية فرصة التدخل بحجة حل هذه الخلافات، فتقوم بتحريض المقاطعات ضدّ بعضها البعض كما حدث بين الهند وباكستان، وبين كوريا الجنوبية والشمالة وغيرها، وبين "حميد دباشي" أن تاريخ إستعمار القارة الإفريقية مليء بالإنقسامات المماثلة وآسيا وخصوصا الهند، حيث أن البريطانيين لعبت دورا فعلا ليس فقط من ناحية إعادة عمل بالنظام الطبقي لفوائده الشخصية وإنما أيضا بإثارة العداء بين المسلمين والهندوس، مما أدى إلى تقسيم كارثي بين الهند وباكستان على أساس ديني[1].

إن الإمبراطورية ليست ظاهرة حديثة بأي حال من الأحوال فهي أقدم أشكال الأنظمة السياسية الضخمة التي نعرفها كالإمبراطورية الفارسية، والصينية، والآشورية، والمصرية وغيرها(.....) فحتى أواخر القرن العشرين كانت الإمبراطورية لا تزال تعتبر مصدر فخر عام، فالفخر لم يكن يقتصر على البريطانيين مثلا، بأنهم فتحو ذلك القدر الكبير من العالم بل كان يتعداهم إلى الكثير من رعياهم الذين يفتخرون بانتمائهم لمثل هذه الإمبراطورية(.....) ولكن هذا الموقف راح يتآكل مع إنتشار الحركات التحررية والإستقلالية في أرجاء البلدان المستعمرة وإدراك الرعايا المتزايد أن الإمبراطورية لا تعني الحماية من الأعداء الخارجيين، أو الإنتماء إلى مشروع جبار، بقدر ما تعني الإستقساء العسكري والسيطرة السياسية والإستغلال الإقتصادي والهيمنة الثقافية، وهكذا بدأت صفة الإمبراطورية تفقد معناها الإجابي الذي يشير إلى الرفعة والجبروت والسمو وراحت تغدو مجرد مصطلح حيادي يصف الإمبراطورية، خاصة عندما شرعت البلدان المستعمرة واحدة تلوى الأخرى

[1] ينظر حميد دباشي: هل يستطيع الغير الأروبي التفكير، ترجمة: عماد أحمد، منشورات متوسط –إيطاليا–، ط2016، ص261

بنيل اِستقلالها من القوى الإمبراطورية العضمى على مدى عقود منتصف القرن العشرين لكي تصور الأفعال والمواقف الإمبراطورية بوصفها ضربا من الاِستفساد الاِستغلالي المناهظ للدمقراطية[1].

وفي مطلع القرن العشرين ومع اِستقلال الدول المستعمرة وزوال الإمبراطوريات واِنقلاب موازين القوى العالمية فإن مفهوم الإمبريالية قد أخذ قالب جديد، حيث قام "فلاديمير إيليتش لينين" في كتابه المعنون ب "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" حيث اِعتبار "فلاديمير ايليتش Vladimir Ilyich Ulyanov" أن الإمبريالية هي مرحلة معينة من تطور الرأسمالية، وقد أعطى مفهوما اِقتصاديا لها:" تمثل الإمبريالية مرحلة رأسمالية الطفيلية"[2]، وبسبب هذا فأن الاِستعمار أضطر للخروج للبحث على اليد العاملة التي ستساعده في الحفاظ على مكانته الاِستعلائية بين شعوب العالم والتي تقوم بخدمة مصالحه الاِقتصادية لذلك فإن النظام الرأسمالي هو عبارة على إخضاع البلدان المستضعفة والمغلوب على أمرها للحفاظ على وجودها، ومع التطور الاِقتصادي ظهر نوع من الأقنعة الجديدة للهيمنة مثل: بنوبك العالمية، وشركات متعددة الجنسيات، وهذه الأخيرة بعيدة كل البعد عن القوة العسكرية، وهكذا فقد تغيرت التبعية من القوى العسكرية إلى طابع سياسي اِقتصادي.

نصتخلص من كل هذا أن الفرقات أن كل "الإمبريالية" و"الاِستعمار" يتم تعريفها بصورة مختلفة اِعتمادا على تغيراتهما التاريخية، رباما تكون اِحدى الطرق المفيدة للتمييز بينهما من خلال عدم فصلهما بصورة زمنية بل بصورة مكانية، والتفكير بالإمبريالية القديمة والإمبريالية الجديدة كظاهرة نشأت في المدينة، وهي عملية تأدي إلى الهيمنة والسيطرة، فالبلد الإمبريالي هو الحضارة التي تتدفق منها القوى المستعمِرة، والمستعمَرة الجديدة هي المكان الذي تخترقه وتسيطر عليه

[1] دوجلاس روبينسون: دراسات ما بعد الكولنيالية، ترجمة: ثائر ديب، ص22،23،24

[2] بيل شكروفت: الرد بالكتابة (النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة: شهرت العالم، المنظة العربية للترجمة لبنان، ط الاولى، 2006، ص326

الإمبريالية، ويمكن للإمبريالية العمل دون مستعمرات رسمية (كما هو حال الإمبريالية الأمريكية هذه الأيام) لكن الإستعمار لا يستطيع ذلك.[1]

ثالثا: مابعد الإستعمار/ مابعد الكولونيالية Sost_colonialism:

يشير هذا المصطلح للوهلة الأولى من خلال اِشتقاقته اللغوية إلى المرحلة التي تلي الفترة الاِستعمارية، ولكن هذا التوجه الفكري هو أكثر ما يحذر منه الكثير من النقاد، إذ يخشى هؤولاء الوقوع في الفخ "المابعد" التي توحي الكرولونوجية والتعاقبية، والمرحلية لما يوحي بتطابق المصطلح "مابعد الاِستعمار" بمصطلح "مابعد الاِستقلال" ومردّ هذه الخشية هو اِمتداد آثار الاِستعمار السياسية والثقافية على وجه خاص، وإذا كان بعض النقاد يتحسس من ضبابية الدلالة التاريخية لمصطلح "مابعد" فإن البعض الآخر يتحسس من دلالته المنهجية واِرتباطها بموكب الموضة حيث اِنتشرت مؤخرا مجموعة من موجات "الما بعديات" مثل مابعد الحداثة؛ مابعد البنياوية؛ مابعد المحايثة؛...إلخ، وهذه المصطلحات راحت على مدار عقود الثلاثة الماضية تنتشر وتتكاثر على الساحة الثقافية، وتنتقل من حقل الثقافي إلى آخر من السياسة والقتصاد إلى الفلسفة والإنثربولوجيا؛ ومن التاريخ إلى الأدب والنقد الأدبي، فالشمولية التي تحتوي المصطلح تكمل في أسلوب الطرح والتعامل مع قضايا متفرعة ومتنوعة لا تقف عند حد معين، من ضمنها الصراع الحضاري والتعالي في استخدام مصطلح الغرب في مواجهة الشرق.[2]

سبب ضبابية وغموض هذا المصطلح فقد قام النقاد بوضع العشرات من التعريفيت له ولقد حصر "دوجلاس روبينسون" مفهوم مابعد الكولونيالية في ثلاث تعريفات نذكر منها:

أن مابعد الكولونيالية "هي دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ إستقلالها: أي كيفية اِستجابة لإرث الكولونيالية الثقافي؛ أو تكيفه معه؛ أو مقاومته، أو تغلبت عليه بعد الاِستقلال، وهنا تشير

[1] ينظر أنيا لومبا: في نظرية مابعد الإستعمار وما بعد الإستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، ص22

[2] ينظر سعيدة عيشونة: النظرية مابعد الكولونيالية قراءة في المفهوم ومجال البحث، مجلة كلية الأدب والغات، جامعة خنشلة، العدد الأول ص174

صفة الكولونيالية إلى الثقافات مابعد نهاية الإستعمار، والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريبا النصف الثاني من القرن العشرين".[1]

إن هذا التعريف يطرح مدى إستجابة السكان أو الشعوب المستعمَرة إلى الإرث الكولونيالي الذي خلفه المستعمر إبان مغادرته ومدى تأثيره وترسخه في تلك المجتمعات، وإن أردنا أن نضرب مثلا واقعيا بخصوص هذا الموضوع فلن نجد أحسن من الجزائر فلقد ظلت آثار الاستعمار متغلغلة في ثقافتها الخام إلى غاية يومنا هذا.

إن تمعنا في تاريخ الجزائر الذي لا يخلوا من الاستعمارات فنجد أن أكثر إستعمارين تأثر مجتمعنا به هو الاستعمار العثماني والفرنسي نظرا لطيلة المدة التي قضها في الجزائر فالمكوث العثماني بقي لقرابة ثلاث قرون وعشرين سنة أما الاستعمار الفرنسي وكما نعلم جميعا أنه دام لقرن ونصف، وهذا الأمر كان كفيلا بتجذير ثقافتهما في مجتمعنا فمن الناحية الثقافية والإجتماعية، فأبسط مثال الفطور الصباحي الجزائري يكون عبارة عن عصير طبيعي وحلويات أو حليب ممزوج بالقهوة السوداء مع نوع من الخبز الحلو أو ما نسميه بلغتنا العامية (كورواسو/ Kuroisou) .

أما من ناحية الحلويات التي تعتبر حلويات محلية على سبيل المثال البقلاوة فإن أصولها حلويات تركية وليست جزائرية، وإن انتقلنا إلى لهجتنا فإنها لهجة مهجنة ومتكونة من ثلاث لغات العربية والتريكية والفرنسية، ومن ضمن الكلمات الشائعة عندنا باللغة التركية نذكر:

الخزناجي؛ الطابونة؛ اسبيطار؛ الكواغط؛ طبصي؛ وغيرها من الكلمات أما من الناحية اللغة الفرنسية فإنها تشكل تقريبا 50٪ من لهجة الجزائرية على نحو: لافيل؛ ديسار وغيرها من الكلمات، وبسبب تنوع اللغات في لهجتنا يصبع على الدول العربة الإخرى فهم كلامنا، والتأثير لم يتوقف فقط عند هذا الأمر وإنما لامس أبسط التفاصيل التي نعيشها في حياتنا اليومية، كما نلاحظ أن "دوجلاس" في تعريفه قد حصر مصطلح "ما بعد" للدلالة على الفترة التي تلت

[1] دوجلاس روبينسون: الترجمة والإمبريالية، ترجمة ثائر ديب، ص28

الاستعمار مباشرة وإذا أخذا الجزائر مثلا فإن فترة مابعد الكولونيالية تبدأ منذ نيل الاستقلال أي عام 1962 ومعضم آدابها في تلك الفترة كانت تتمحور حول القضايا الفرانكفونية في الجزائر[1].

ظهر مصطلح مابعد الكولونيالية أو مابعد الاستعمار لأول مرة في مجال السياسي أوائل السبعنات عندما أطلق على مأزق الأمم التي تخلصت من السيطرة الإمبراطوريات الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، لكن المصطلح لم يكتسب معناه في المجال الثقافي إلا في فترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

يمكن القول إن مابعد الكولونيالية هي كل ثقافة تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ لحظة الإستعمار حتى يومنا، هذا ويرجع هذا الإستخدام إلى استمرار هذا الإنشغال طوال العملية التاريخية التي بدأت بالعدوان الإمبريالي الأوروبي، كما إننا نطرح أيضا أن هذا المصطلح هو الأكثر ملائمة بوصفه مصطلحا للنقد ثقافي الجديد الذي ظهر في السنوات الأخيرة، والخطاب الذي يتأسس من خلال ذلك النقد.[2]

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن المفاهيم التي صاغها منظّرو مابعد الكولونيالية لم تكن الملفاهيم وتصورات واحدة، فقد عرفت اِختلفات كبيرة نتيجة تباين التوجهات، والمرجعيات ومواقع الشتغال التي تحرك فيها المنظور ورغم ذلك يمكن أن نلاحظ كيف وحدهم الالتقاء في نقطة مشتركة، من ضمنها كون "النظرية ما بعد الكولونيالية" تقوم على تفكيك حدود ومحددات التي تقوم على الهيمنة، والتي تخلق علاقات قوة غير متكافئة، تنشأ على التقاربات الثنائية من قبل "نحن" وهم"؛ "العامل الأول" و"العامل الثالث"؛ "الأبضِ والأسود"؛ "المستعمِر Coloniserوالمستعمَر colonised وتبين هدفا سياسيا أكثر تحديدا ألا وهو الخلخلة المستعمرة للسلطة السياسية والثقافية.[3]

---

[1] د. لمياء مرتاض: توضيف الفرنسية في العامية الجزائرية، جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – الجزائر، ص87

[2] بيل شكروفت وآخرون: الرد بالكتابة، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجة –بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، مارس 2006، ص16

[3] عدنان لكناوي: النظرية مابعد الكولونيالية "قلق الموقع وتشعب الجذور"، مختبردراسات اللغة العربية جامعة محمد الشريف مساعدية –سوق أهراس– الجزائر، المجلد 22، العدد الأول، ديسمبر 2022، ص48، l.adnene@univ-soukahras.dz

رابعا: الكولونيالية الجديد/ الإستعمار الجديد:Neo_Colonailism

إن المصطلح الذي يناوىء مصطلح مابعد الإِستعمار هو مصطلح الإِستعمار الجديد الذي صاغه " كومامي نوكروماKwame Nkrumah" الرئيس الأول لغانا وأبرز داعية للوحدة الإفريقية في كتابه "الكولونيالية الجديدة المرحلة الأخيرة للإمبريالية"، وقد أشار في هذا الكتاب الذي طور تعريف الهيمنة "فلاديمير اليليتش لينينVladimir Ilitch Lenin" للإمبريالية بوصفها المرحلة الأخيرة للرأسمالية، إلى أنه على الرغم من تحقيق دول مثل غانا الإِستقلال النظري، إلى أن القوى الكولونيالية السابقة والقوى الجديدة الصاعدة على المشهد العالمي مثل: الولايات المتحدة الأمريكية ظلت تلعب دورا حاسما في مصائر هذه الدول عن طريق تثبيت الأسعار في الأسواق العالمية؛ وشركات متعددة الجنسيات؛ والاتحادات الاحتكارية إضافة إلى تنويعة من المؤسسات التعليمية والثقافية [1].

لقد قام نوكروما بوصف الكولونيالية الجديد بأنها مثل الحرباء المتلونة التي يصعب الكشف عن معدنها أو وجهها الحقيقي، وأنه من الصعب علينا تحديد معالمها ومقوماتها عن الكولونيالية القديمة، إِنطلاقا من هذا يمكن القول أن الإِستعمار الجديد هو مصطلح يصف العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الدول المتقدمة والدول النامية، حيث يركز على إِستغلال الموارد الطبيعية والقوى العاملة في الدول النامية، فتقوم الدول الكبرى برض وسن قانين سياسة وإِقتصادية التي تخدم مصالحها الشخصية، كما أن الكولونيالية الجديدة تحمل في ثناياها بعض من آليات المختلفة من الإِستعمار القديم مثل: المديونية الخارجية والتعبئة الإِقتصادية التي تفرضها البنوك العالمية الكبرى وشركات متعددة الجنسيات.

بالرغم من أن الكولونيالية الجديدة قد جاءت متخفية بقناع جديد مظلل غير أنها لم تغير من طبيعتها العدوانية والدموية، وهذا ما أكده "فرانز فانونFratz Fanon" حيث قال أن الكولونيالية الجديدة ما هي إلى عبارة عن مخزون نفسي من الكراهية والحقد والنظرة الدونية والاحتقار التي

[1] بيل شكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية، ترجمة أحمد الروبي، ص254

حملها الإنسان الغربي وخاصة الأوروبي اتجاه غيره من الأجناس، ومن هنا جاءت ما يسمى بنظرية الإنسان ذو البعد الواحد، فالكراهية و نظرة الإنحطاط التي يراها الغرب اتجاه باقي الأجناس هي التي تدفعه إلى إرتكاب مجازر ضد الإنسان دون الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير وتهدف الكولونيالية الجديدة إلى نهب المزيد من الثروات وخيرات الشعوب المستعضعفة بِاسم نشر رسالة التحضر وإِقامة الحرية والديمقراطية وتوهيم الطرف الآخر بكذبة حماية والدفاع على حقوق الإنسان[1].

[1] ينظر كمال رمضاوي وعبد المجيد عمراني: سيكولوجيا الإستعمار من منظور فرانز فانون، مجلة العبر للدراسات التاريخية والإثرية في شمال إفريقيا، المجلد 05، العدد الأول، يناير2022، مخبر حوار المحاضرات والعولمة جامعة الحاج لخضر- باتنة-، ص476، Ramdanikane12019@gmail.com

الفصل الأول: النقد مابعد الكولونيالية: نشأته وأعلامه ومرتكزاته وتجلياته في البيئة العربية

تمهيد:

من أجل البحث في النظرية مابعد الكولونيالية يوجب علينا البحث أولا في الأوضاع السياسية التي ترعرعت في ظلها هذه النظرية، ولا يخفى علينا أن هذه النظرية اكتنفها الكثير من التعقيد والغلو نظرا لما شهدته من تحولات وفي محطات هذا فصل سيقع الإِشتغال على الأسباب التي أدت إلى نشأة هذه النظرية من هم أهم أعلامها وما هي هي المواضيع التي عالجتها النظرية مابعد الكولونيالية.

المبحث الأول: نشأة النظرية مابعد الكولونيالية:

أواخر القرن العشرين_ أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات_ ظهرت فترة والتي سميت بفترة مابعد الحداثة أو بفترة العصرنة، حيث اجتاحت جميع المجالات الفكرية والثقافية والتاريخية، التي مثلت وطبعت التطور الأوروبي في العصر الحديث بشكل مبسط، لقد أنتجت هذه المرحلة مجموعة من التيارات التي أطلق عليها اتجاهات مابعد الحداثة، فأخذت تتردد على ألسنة وأقلام المثقفين بإِختلاف إِتجاهاتهم حتى أنها غدت شبيهة بالبدعة أو الموضة وأطلق عليها موضة الما بعديات.

ومن الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ظهور موجة مابعد الحداثة نذكر: الشعور بالاحباط وخيبة الأمل اللذين تولدت لدى المجتمعات الغربية إِثر إِخفاق الحداثة في تحقيق السعادة والأمن للإنسان وثانيها: الإيمان المطلق بالعلم والعقل والتكنولوجيا التي أدت إلى كوارث كونية مختلفة مثل: ثقب طبقة الأوزون؛ تغير المناخ؛ وإِختراع القنابل النووية التي لعبت دورا مزرية ومظلما إبان الحربين العالميتين حيث إِستيقظ العالم على كابوس مخيف ودمار شامل في جميع الميادين سواء على الصعيد السياسي أم الإِقتصاي أم الفكري، كما فرضت مابعد الحداثة نظريات كبرى وشمولية في المجالات السياسية والإِجتماعية وغيرها، فلكل بلد خصائص تميزه عن بلد آخر، فهناك نظريات تصلح على المجتمع الفرنسي وقد لا تصلح على المجتمع الجزائري مثلا فالبيئة الطبيعية

والتكنولوجية والإجتماعية اضافة أيضا إلى اختلاف الزمان يؤثر في صلاحية أم عدم صلاحية هذه النظرية، بعمى أن النظريات التي تصلح أمس قد لا تكون مناسبة اليوم وهكذا.....[1]

نجد "إنريك دوسلEnrique Domingo Dussel" صب جُلّ غضبه على الحداثة واتهمها بالإجرام لأنها كانت مشروع أحادي إقتصاديا يتركز على ذاته إذ لا يعترف بالآخر الأصلاني بل يهمشه ويخرجه من دائرة العلم والمعرفة مُوصدا بذلك الأبواب لقبول التعددية الثقافية التي بموجبها تتلاقى الثقافات وتتلاحق، فانطلاقا من المآزق التي وقعت فيها الحداثة جاءت مابعد الحداثة كبديل معرفي تصحيحي لتقويم اعوجاج مبادىء أهداف الحداثة.[2]

يرى الفيلسوف "فرونسوا ليوتارJean_ François Lyotard" في كتابه الشهير"الوضع مابعد الحداثي: تقرير عن المعرفة" أن أهم معالم المرحلة الراهنة من معالم المعرفة الإنسانية، هو سقوط النظرية الكبرى وعجزها عن قراءة العالم، ويقصد بها الأنساق الفكرية المغلقة التي تتسم بالجمود والتي تزعم قدرتها على تفسير الكلي للعالم أو المجتمع، ومن أمثلتها البارزة (الايديولوجيات) ولربما كانت الماركسية _في رأيه_ هي الحالة النموذجية.[3]

هناك من باحثين والدارسين من يربط مابعد الحداثة بفلسفة التفكيك والتقويض وتحطيم مقولات المركزية التي هيمنت على الثقافة الغربية من أفلاطون إلى يومنا هذا، وفي هذا الصدد يقول "ديفيد كارترDavid Karter" في كتابه "نظرية الأدبية": «وتعبر هذه المواقف من "مابعد الحداثة" عن موقف مشكك بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وماديات النشاط الإنساني (من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات

[1] عبد المنعم أحمد: نظرية ما بعد الحداثة وتفسيرها لمتغيرات العصر، بوابة الأهرام_القاهرة _ مصر،02/12/2019، 13:10 https://gate.ahram.org.eg/News/2332583.aspx، اطلع عليه يوم 13/03/2024، 00:20

[2] بوحيرش نادية: نظرية ما بعد الكولونيالية والتلقي العربي، جامعة محمد صديق بن يحيي جيجل، السنة الجامعية:2016/2015، ص27

[3] أحمد عبد الحليم عطية: نيتشة وجذور ما بعد الحداثة، دار الفرابي –بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص131

الثقافية وميادين أخرى) وبالنسبة للكثير تعد "مابعد الحداثة" عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة، فلا عالم ولا ذات لهما وحدة متماسكة»[1].

لقد رافقت مابعد الحداثة مجموعة من النظريات الأدبية والنقدية والثقافية التي ظهرت مابين السبعينات والتسعينات ومن بين أهم نظرياتها: التأويلية؛ نظرية القراءة والتلقي؛ التفكيكية؛ النقد الثقافي؛ التاريخانية الجديدة؛ النظرية مابعد الكولونيالية؛ وغيرها من نظريات مابعد الحداثية.

من خلال هذا يمكن القول أن كل الآثار السلبية التي خلفتها الحداثة قد شكلت تربة خصبة لظهور مابعد الحداثة التي مهدة الطريق لكثير من النظريات النقدية والأدبية والثقافية، حيث كانت هذه النظريات مهيمنة على جميع القطاعات السياسية والمنظمات الثقافية الغربية، وقد اتخذت من التفكيكية سبيلا لها لزعزعة وتشتيت وهدم وتشريح الأفكار الغربية الموغلة في الاستبداد والتهميش واستغلال الذات الإنسانية التي قامت على المركزية الإنطيولوجية، وأعادت الاِعتبار إلى كل ما هو مهمش ولذلك فإن "الدارسين والباحثين لا ينكرون فعالية النظرية النقدية التي تبنتها مابعد الحداثة، كما لا يشك أحد في مشروعية دعوتها إلى التحرر ومحاربتها للمفاهيم القمعية القصرية ولا يختلف اثنان على أهميت تغييرها للأسس المعرفية واسقاط القناع عن خفايا أبنية القوى ودوافعها المتحيزة، ومحاولتها لاِقصاء واِسقاط الهيمنة التي فرظتها الأنظمة الامبريالية والامبراطوريات الكبرى"[2].

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن مفاهيم والأفكار التي بثتها مابعد الحداثة قد بلورت معالم التي انطلقت منها النظرية مابعد الكولونيالية وشكلت لها مساحة واسعة لدراستها والاهتمام بها مما أدى لتدفق الكثير من الأكادميين الذين ترجع أصولهم إلى العلم الثالث الذي تجرع مرارة الاستعمار حتى الثمالة وانتهجوا مسار النقد الثقافي باعتباره انحراف معرفي جديد في النقد.

[1] ديفيد كارت: النظرية الأدلبة، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين –دمشق– سوريا، الطبعة الأولى، سنة 2001، ص130

[2] هويدا صالح: الصورة الروائية للمثقف، مجلت العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ط657، أغسطس 2013، ص156

إن النقد الثقافي كمفهوم يجسد عدة فلسفات تودع المركزية الغربية وتوصد ورائها أبواب، وتفتح للتعددية من حيث تودع ما ساد الحداثة من حتمية ميكانيكية وواحدة مادية ساحقة وعلمانية فجة تعمل على إقصاء كل ما هو آخر سوى المادة، لقد أصبحت المنظورات الفلسفية الراهنة أكثر مرونة وخصوبة وإنسانية وتفتحا[1].

يوضح قاموس أوكسفورد للعلوم الاجتماعية قائلا: نشأ الخطاب مابعد الكولونيالية في أعمال جماعة دراسات التابعة والقائمة على التاريخ الهندي، متأثرين بأعمال الماركسية الإنجليزية، لتدوين التاريخ وكانو مهتمين التعبير عن المستعمرين (الذين وقع علهم الاستعمار) أكثر من تبنى وجهة نظر المستعمِر (الذي قام بالإستعمار) وسلطتهم.[2]

إذا فإن قاموس اكسفرد هنا يرجع نشأة النظرية مابعد الكولونيالية إلى مجموعة من الدارسين والمهتمين بتتبع التاريخ الهندي، والذين تأثرت أعمالهم بالماركسية التي حاولوا من خلالها الدفاع على حقوق المستعمرين وإظهار قناع الدم الذي طالما حاول المستعمر اخفائه، يرى "رامي أبو شهاب" أن الهدف وراء الخطاب الكولونيالي هو: «ايصال صوت المضطهدين في خطاب مهيمن عليه المستعمر بالاضافة إلى إنالة بدور الريادي لكل من "فرانز فانون" و"إدوارد سعيد" وأفكار القومية السوداء في الولايات الأمريكية المتحدة، لاسيما في عملية التسأسيس، في حين يشير قاموس رودليدج إلى أن ظهور الخطاب في الدراسات الأدبية كان أواخر عام 1970 باحثا في جوانب الثقافية والاقتصادية، لتركيبة مابعد الاستعمار منوها بأثر "إدوارد سعيد" وكتابه "الاستشراق" عام 1978»[3].

[1] ينظر أوما ناريان وساندرا هاردينيج: نقض مركزية المركز من أجل عالم متعدد الثقافات بعد– الإستعمار والنسوي، ترجمة: يمنى ظريف خولي، عالم المعارف– الكويت–، ج1، ديسومبر 2012، ص17

[2] رامي أبو شهاب: اللاسيس والمخاتلة، ص50

[3] المرجع نفسه، ص50

كما يتجه "بيل شكروفت" وآخرون في كتابهم المشترك والموسوم " دراسات مابعد الكولونيالية – مفاهيم الرئيسة– مسار الذي سلكه قاموس رودليدج في تحديد نشأة الخطاب الكولونيالي، معتبرين سنة السبعينات بداية استخدام مصطلح مابعد الكولونيالية من طرف نقاد الأدب.

كما أشاد "بيل شكروفتBill Ashcroft" بالدور الريادي لكتاب "الاستشراق" ل "إدوارد سعيد Edward said" الذي رأى في فكرة "ميشال فوكوMichel Foucault" عن الخطاب وسيلة قيمة لوصف المنظومة التي نشأ بداخلها ذلك المجال من الممارسات والتي أصطلح عليه اسم الكولونيالي[1]، حيث حاول دراسة الطرق التي عمل من خلالها الخطاب الكولونيالي بصفته أداة لفرض السيطرة وهذا ما اصطلح عليه اسم الخطاب الكولونيالي.

فظلا عن "إدوارد سعيد Edward said"، يعد أشهر منظر للخطاب الكولونيالي هو "هومي بابا Homi K. Bhabha" الذي افترض تحليله وجود تناقضات معينة معطلة داخل العلاقات الكولونيالية، مثل الهجنة والازدواج الوجداني والتقليد وهي تناقضات كشفت غياب الحصانة الجوهرية (inherent vulnerability) عن الخطاب الكولونيالي[2].

نلاحظ أن الخطاب الكولونيالي تظمن بدرجة كبيرة أفكار المركزية الغربية الأروبية التي غدت واسمة لنزعة الحداثة، وعليه فإن الخطاب الكولونيالي هو مجموعة من المنظومات التي يمكن اطلاقها عن الاستعمار وعلاقته بالشعوب المستعمرة.

يعتمد الخطاب الكولونيالي بصورة خاصة على أفكار العرق التي بدأت تبرز مع ظهور الإمبريالية الأروبية، ومن خلال مثل هذه الفروق والتمييزات كان الخطاب الكولونيالي يصور الشعوب المستعمرة، أيا كانت طبيعت تشكيلاتها الإجتماعية وتواريخها الثقافية بوصفها "بدائية" في مقابل شعوب المستعمِرين بوصفها "متحضرة"[3].

---

[1] بيل شكروفت وآخرون: دراسات مابعد الكولونيالية – مفاهيم رئيسية–، ص100

[2] المرجع نفسه، ص101

[3] بيل شكروفت وآخرون: دراسة ما بعد الكولونيالية –المفاهيم الريسية–، ص102

من خلال الفقرات السابقة نلاحظ أن "بيل شكروفت" في كتابه "دراسة مابعد الكولونيالية" قد أشار على بث الاستعمار لأفكاره وثقافة مجتمعه لافتا الانتباه إلى المفهوم الزمني في خطاباته، وتأثيرها الشعوب المستعمرة في الفترة التي تلت الاستعمار، في حين تعرفه موسوعة "مابعد الكولونيالية" كما أورد الناقد "أبو شهاب" في كتابه "الرسيس والخاتلة" بأنه: «الخطاب الذي تم التأريخ له منذ أن نشر "إدوارد سعيد" كتابه "الإستشراق" سنة1978، في حين كانت سنة 1980 الفترة التي قام فيها التأسيس والبحث الموسع في هذا المفهوم، بينما كلنت سنة 1990 الفترة التي تحقق فيها حضوره الرسمي ضمن مؤسسة البحث العلمي، تذكر الموسوعة ثلاث أعمال أساسية عملت على التأصيل الخطاب أكادميا وهي: نظرية مابعد الاستعمار لأنيا لولمبا 1998؛ نظرية مابعد الكولونيالية لليلي غاندي1998؛ وأخيرا كتاب نظرية مابعد الكولونيالي لبارث مورجيلبارت (السياق–المصارات–السياسات1997»[1].

أشارت "ليلا غاندي"Leila Ghandi في كتابها نظرية ما بعد الكولونيالية بأن كتابها هذا يأتي في سياق نقاش أكثر رصانة للنظرية ما بعد الكولونيالية التي قاده رهط من النقاد والدارسين سنة1980 ويمكن القول إن ليلا غاندي أسعفتنا بدراسة شاملة غير مسبوقة حيث وضعت هذه النظرية في سياق تدافع بين مابعد الكولونيالية ومابعد البنياوية(poststructuralist potcolonialism) كما أن الدقة التي وضعت بها الميراث الفكري للنظرية مابعد الكولونيالية في مشهد خول لها إبراز مستوى عال من التعقيد المفاهيمي، وفي الوقت نفسه جنبتها مطبات الغموض وعدم الجدية التي عادة ما تصاحب هذا النوع من العروض التنظيرية[2].

لقد تقفت ليلا غاندي أثر شخصيتين تارخيتين كان لهما دور مهم في هذه النظرية: فرانز فانونو؛ والمهاتما غاندي اللذين أسهما كثيرا في مشروع التوعي المناهظ للكولونيالية من خلال الكشف عن ((العوز الأخلاقي والقصور)) اللذين وسما مهمة الغرب الكولونيالية التحضيرية، وتأيد

[1] رامي أبو شهاب الرسيس والمخاتلة، ص50–51

[2] بيلا غاندي: نظرية مابعد الكولونيالية مدخل نقدي، لحسن أحمامة، صفحة سبعة للنشر والتوزيع–المملكة السعدية–، الطبعة الأولى،20121، ص09

ليلا أدائها بأنه يلزم إعادة تقييم الحضارة الغربية إزاء العواقب الوخيمة، السيكولوجية والاقتصادية والثقافية التي تكبدتها مستعمرات ما وراء البحار. وبذلك وجب النظر إلى الحداثة الغربية بوصفها الأساس الفعلي للاستغلال الاقتصادي والتلاعب الثقافي، والغزو العسكري، وفيما يميل النقاد إلى قبول التحليل الماركسي للكولونيالية بوصفها حبكة جانبية في قصة نشوء مجتمع السوق في أوروبا، ويفضل نقاد من المعسكر مابعد البنيوي التحول من المجال الاقتصادي إلى المجال الإبستيومولوجي، مفسرين الكولونيالية على ضوء ابستيومولوجيا نرجسية فاشلة غذاها تقليد النزعة الإنسانية الغربية الذي وضع أسسها "روني ديكارت" فيلسوف العقلانية في القرن السابع عشر[1].

في معرض حديثنا في عن بداية نشأة النظرية مابعد الكولونيالية، ورغبة منا في تحديد الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها هذه نتطرق إلى مرجع مهم حول هذه النظرية وهو كتاب "مقدمة إلى نظرية مابعد الكولونيالية" للمؤلفين "Peter cheilds" و"R. J patrik William" الذين قاما بطرح عدة تساؤلات محيرة عن بداية الاستعمار؟ وأي استعمار بالتحديد؟ أهو أوروبي أم برتغالي أم إسباني؟ لهذا يرى المؤلفين أن مابعد الكولونيالية «ينطوي على مفهوم زمني واسع وشاسع ومستمر عبر الزمن ولا تهدأ مادام هناك دول ضعيفة وأخرى قوية، مما يبرر لهذه الأخيرة حق السيطرة ونهب والاحتلال لكن المؤلفين يتحدثان عن بداية الاستعمار الحديث الذي توسع في القرن التاسع عشر واستمر حتى القرن العشرين، كما يتسؤلان عن القرن الثامن عشرلكن حسب رأيهم _أن ما يهم بالتحديد هو الاستعمال الأوروبي الحديث والعشرين_ كما يشير الؤلفين إلى مدى اتساع الفترة الزمنية للاستعمار الذي مزال مستمر إلى الآن وبطرق مختلفة عن المفهوم الكولونيالي الأوروبي ومنها على سبيل المثال: اسرائيل تيمور الشرقية، بالاضافة إلى دخول قوى جديدة إلى حلبة الصراع تتمثل في الولايات الأمريكية المتحدة ».[2]

---

[1] المرجع نفسه، ص09-10

[2] See: peter childs and R.J Partick williams an introdudon to post colonial theory. p :11، مؤخوذ عن: بوحيرش نادية: النظرية مابعد الكولونيالية وتلقي العربي، ص31

من هنا يمكن القول إنه من غير الممكن لنا تحديد الفترة الزمنية للاستعمار مادام هناك دول ضعيفة ودول رأس مالية قوية ذات نفوذ وسيطرة وهذا ما أكده "رامي أبو شهاب" فبحسب رأيه «إنه شيء غير للزوال لأنه لازال هناك استعمار قائم لحد الساعة كما في العراق وافغانستان وفلسطين وغيرها معتمدا في كلامه هذا على أفكار "أدوارد سعيدEdward Said" في كتابه الأدب ما بعد الكولونيالي»[1].

استخلاصا لكل ما سبق يمكن التسليم أن الخطاب ما بعد الكولونيالي قد تأسس مرتكزا على جهود ومساهمات "إدوارد سعيد" ومن اتبعه واتخذ هذوه ولكن لا يمكن أن ننكر أن هناك بدايات تستحق الذكر والاعتراف بها والاشادة بالدور الناجح الذي لعبته في مقاومة الاستعمار على كل الأصعدة داعية إلى التخلص منه، ويمكن القول ان هذه الجهود كانت الباعث القوي للناقد "إدوارد سعيد" في بلورته للنظرية مابعد الكولونيالية، ومن ضمن هذه المجهودات نذكر: المارتينيكي "فرانز فانون Franz fanoun" الذي كانت أفكاره بمثابة المطية والركيزة الاساسية للنظرية مابعد الكولونيالية، وعلى هذا الاعتبار فإن "فانون" من خلال أفكاره الثورية التحررية يعد رمز الدفاع عن المقهورين والمستعمَرين، حيث كان يدعو بقوة إلى ضرورة مكافحة الاستعمار وضرورة التخلص من كل ضرب تبعية وعبودية، بالإضافة إلى "فانون" نجد الشاعرين "إيمي سيزار" و"ليوبولد سيدار سنغود" واسهامهما في بلورة ما يعرف بتيار الزنوجية "Megretude".

أرجع الدارسون نشأة الخطاب مابعد الكولونيالي وأصوله إلى بدايات القرن العشرين حيث كانت المؤسسة الأكاديمية الغربية لصيقة بأعمال أدبية معينة مثل مسرحية "صموئيل بيكيت" الشهيرة "في انتصار جودو" ومتماشية مع تنظيرات "رونال بارت" وخاصة في كتابه "الكتابة من الدرجة الصفر" الذي صدر عام 1952م، وقد أريد لهذا الخطاب في تلك الفترة ان يقوي من مفهوم "المعاصرة" الذي شكلت فيه ما سميت بالثقافة البدائية خيطا أساسيا وعنصرا مهما لا ينبغي إغفاله[2].

[1] ينظر رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص55

[2] بوحاريش نادية: النظرية مابعد الكولنيالية والتلقي العربي، ص33

يرى "دوغلاس روبينسون" أن النظرية مابعد الكولونيالية ولدت من تاريخ مختلط من الاستجابات البريطانية والهندية في معظمها (خاصة المبكرة منها) لكل من الكولونيالية وأفولها في القرن العشرين ولسلسة من المفكرين الغربيين الريديكاليين (كارل ماركس؛ فريدريك نيتشه؛ فريدريك جيمس؛ ميشال فوكو؛ إدوارد سعيد) الذين عاشوا الاضطراب في الافتراضات التقليدية المتعلقة بالمعرفة و يمكن للقارئ أن يجد عرضا جيدا لهذا التطور في مقالة ضمنها كتاب "الدراسات المقارنة للمجتمع والتاريخ" الذي وضعه "جيان براكاش" عنوانها: "كتابة تواريخ العالم الثالث مابعد الكولنيالية: منظورات مستندة من التأريخ الهندي1990، ويرى "براكاش" أن الخطوة الأولى في هذا التطور تمثلت في بالتأريخ الاستشراقي، أي بالتواريخ الهند التي كتبها مستشرقون أوربيون تصور الهند على أنها طفولة أوروبا الآرية، وتاليا على أنها موضوع ثابت و راسخ وساكن، عاجز عن الموقف (أي فاقد القدرة على التقدم) وعن تحقيق ذاته (أي فاقد للقدرة على التعبير عن الذاته).[1]

إنطلاقا مما سبق يمكننا القول إن نشأة النظرية مابعد الكولونيالية وكذلك الدراسات والخاطابات التي دارت حولها كانت مسألة اختلف فيها الباحثون والنقاد، وهذا راجع للتحولات الكثيرة التي مرت بها هذه النظرية عبر التاريخ، والتي شكلت تربة خصبة لتطور الخطاب والنقد مابعد الكولونيالي ومن أبرز الكتب التي شكلت دافعا وحافزا لظهور هذا النوع من الخطابات نذكر كتاب "بشرة بيضاء وأقنعة سوداء" للمارتينيكي "فرانز فانونFranz fanoun ".

المبحث الثاني: أعلام النظرية مابعد الكولونيالية:

لقية النظرية ملبعد الكولونيالية اهتمام مجموعة من الكتاب والمفكرين والنقاد، حيث كان تأثيرهم على الساحة الأدبة والنقدية سواء الغربية أو العربية ومن خلال هذا المحطة سنحاول التطرق إلى أربع رواد لعبوا دورا كبيرا في هذا المجال وهم: فرانز فانونFranz fanoun ؛ إدوارد سعيد Edward Said؛ هومي بابا Homi K. Bhabha ؛ غياتري سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak.

[1] دوغلاس روبينسون: الترجمة والإنبريالية، ص33

1. فرانز فانونFranz fanon:

من الكتاب السابقين الذين ارتبط اسمهم بهذه النظرية مابعد الكولونيالية فلقد كان المبشر الأول والأب الروحي لها، ذلك من خلال أشهر كتاب له "المعذبون في الأرض" فقد اكتسب هذا الكتاب أهمية كبيرة فهو أقرب إلى القدسية بالنسبة إلى مثقفي الدول التي مازال يطلق عليها دول العالم الثالث، غير أنه تم تجاهل أو بشكل أدق إساءة فهم هذا الكتاب من قبل دول العالم الأول[1]، حيث نجد "فانون" قد دعى الى مقاومة ومناهظة الاستعمار والإمبريالية والتمرد على كل الأنظمة السياسية الداعمة لها داعيا إلى تصفيتهم فقد أقر انه لايوجد سوى خيار واحيد للتخص منهما وهو العنف فالأراضي التي سلبت من شعوبها بالقوة لا تسترجع إلى بالقوة.

لقد استطاع "فانون" بأفكاره التحررية أن يتبوأ مكانة هامة لدى مفكرين ونقاد العالم الثالث الذين هاجروا على البلدان المستعمرة في آسيا وإفريقا إلى عواصم المتروبولية، سواء الأوروبية أو الأمريكي، ويعود ذلك إلى الطابع المثالي الذي سلكه "فانون" كونه يمثل بالصورة العنيفة تلك القطعية التي حدثت في أوصاط النخب المستعمرة بين الأمل في امكانية القضاء على الظاهرة الاستعمارية عن طريق المماثلة والاندماج في الوطن الأم، والانتقال إلى الكفاح المسلح، وكان الاحتكاك بالشعب الجزائري الذي كان يخوض حربا تحريرية هو المنعطف الحاسم في هذا المسلك، وقد تحول فانون إلى مناضل من مناضلي الثورة الجزائرية والاستقلال الإفريقي، فقد فقد حالت الوضعية التي كانت سائدة في * المرتينيك دون أن يتحول إلى مناظل ثوري في جزر

[1] ينظر بوحريش نادية: مابعد الكولونيالية التلقي العربي، ص65-66

***مارتينيك:** Martinique هي جزيرة تقع في شرق البحر الكاريبي الي الشمال من ترينيداداوتوباغ مساحتها 1128 كم ^{2}وعدد سكانها 398000 نسمة (2005) وهي من مجموعة جزر الأنتيل الصغرى تعتبر أحد الأقاليم الستة والعشرين المكونة للأراضي الفرنسية.

الأنتيل، غير أن هذا الحاجز فتح أمامه في الواقع إمكانية جديدة هي امكانية مشاركة في الكفاح التحريري لقارة بأكملها، والتعبير عن أهم مظاهرها وأهم مشاكلها.[1]

تأثرت أفكار فانون كثيرا بعمله في الطب نفسي في المستشفيات الجزائرية والتونسية التابعة للاحتلال، وبخبرة مشاركته في القتال أثناء الحرب العلمية الثانية، وبدراسته في علم النفس والسياسة ومكافحة الاستعمار، ومرّ بدايةً برفض فرسا اِحترام رعاياها الأفارقة، واقتنع اقتناعا قويا بأن الضروف المرضية التي عرفها في الأفراد المختلفين كانت نتيجة مباشرة للظروف الاجتماعية التي سببها الاستعمار[2].

من هنا نلاحظ أن الأفكار التي قام "فانون" ببثها في العماله كانت متأثرة بشكل مباشر بمجال دراسته النفسية والسياسية إضافة إلى احتكاكه الكبير بالمساجين التونسيين والجزائريين أثناء عمله كطبيب نفسي في سجون الاحتلال، هذا غير مشاركته بالحرب العالمية الثانية بجانب الجيش الفرنسي حيث لاحظ "فرانز فانونFranz fanoun " الاظطهاد والتسلط الذي كانت تمارسه فرنسا على رعاياها وخاصة الرعاية الأفارقة.

لقد ظهر نقد مابعد الكولونيالية وآثارهه عند "فرانز فانون" من خلال أعماله الأدبية والنقدية التي تعد صرخة مدوية في وجه الاستعمار، كما أن عددا ملحوظا من المفاهيم المستخدمة في الخطاب مابعد الكولونيالي تعود إلى كتابته وآرائه، "ففانون" إذن يعد وكما عبر "هومي بابا Homi K. Bhabha" « وكيل الحقيقة المنتهِكة والمتحولة، وإذا ما كان يتوق إلى تغيير الإنسان والمجتمع تغييرا كليا، إلا أن فعالية كلامه تكون على أشدّها حين يتكلّم من فُرجات التغيير التاريخي البينية أو الخيالية الملتبسة، من منطقة التجاذب بين العرق والجنس، انطلاقا من التناقض غير المحلول بين الثقافة والطبقة، من قرارة الصراع بين التمثيل النفسي والواقع الاجتماعي، إن أعمال فانون في مجملها تنشطر من ديالكتيك هيغلي ماركسي وتأكيد ظاهراتي على الذات والآخر، وتحليل نفساني لما يعتري اللاوعي من تجاذب... حيث تعيد هيغليته الأمل إلى التاريخ، ويعيد نفخ الوجود للحياة

[1] جون سكوت: خمسون عالما إجتماعيا أساسيا المنظور المعاصر، ترجمة: محمود محمد حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر –لبنان–، ط1، 2009، ص278–279

[2] جون سكوت: خمسون عالما إجتماعيا أساسيا المنظور المعاصر، ص279

في "الأنا" وحضور المهمش، ويلقي إطاره التحليل النفسي الضوء على جنون العنصرية، ولذة الألم، واستيهام القوة السياسية المتوتر والصراعي .وهكذا يحاول "فانون" إحداث مثل هذه التحولات الجريئة والمستحيلة غالبا في قيمة والحقيقة في الشهادة المثلومة على النخاع الكولونيالي»[1].

تحتل مؤلفات "فرانز فانون" الصدارة في دراسات نقد مابعد الكولونيالي، فإذا تأملنا النظر في عناوين مؤلفاته نجدها تعكس الطابع الثوري وتحمل دلالة صريحة ومعبرة عن فكره المناهض للقهر الإنساسي والظلم والتسلط إبتداء من كتابه الموسوم ببشرة بيضاء وأقنعة سوداء إلى عصارة فكره وأعماله المعذبون في الأرض حيث أعتبر هذين الكتابين ذا أهمية كبرى في النظرية ما بعد الكولونيالية والذين جذبا إهتمام أكبر من قبل النقاد والمفكرين، وفي هذه الفقرة سأحاول تلخيص بعض الأفكار التي جاء بها هذين العملين:

أ. بشرة بيضاء وأقنعة بيضاء:

يعد هذا الكتاب بمثابة البوابة الأولى لبقية أعماله اللاحقة الذي صدر عام 1952، حيث كتب بأسلوب علم الثقافة الذاتية وعمل "فانون" على «كتشاف حقيقة الإِستعمار السائدة في الجزائر فوضح في الرأس أوليات توجيه جهوده نحو إِدخال أساليب العلاج الإِجتماعي التي اقتبسها عن زميله الإسباني "فرانسوا توكيل" فسعى لتعديل علاقات المعالجين مع المرض، سواء أكانوا ذو أصول أوروبية أم جزائرية، ولقد ارتبط آراءه حول العنصرية، بواجهة العلمية للمفاهيم المرجعية لهيمنة بعض الثقفات الاستعمارية.[2]

إن "فانون" في كتابه هذا ركز على خلفية نفسية بحته حيث قام بتوضيف نظرية التحليل النفسي، وآراء المحللين "جاك لاكانJacques Lacan" و"سيغموند فرويدSigmund Freud " إضافة إلى أنه قام بمشاركة تجربته الشخصية، ويقدم نقدا تاريخيا لآثار العنصرية والنزعة الأوحادية التي إتصف بها الإنسان الأوروبي في حلات الهيمنة الاستعمارية على النفس البشرية، وهذا الأمر قد أشار إليه "حفناوي بعلي" في كتابه "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" يقول

[1] هومي بابا: موقع الثقافة، ترجمة كمال أبو ديب، المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة– مصر، ط الأولى، 2004، ص103

[2] بوحيرش نادية: النظرية الكولونيالية والتلقي العربي، ص47

«أن الكتاب يعتبر دراسة نفسية فرويدية محضة عن العنصرية، التي يلاقيها الإنسان الأسود، الذي يعيش الذي يعيش داخل المحيط الأوروبي الأبيض، وكن هذا الأمر لا ينفي الروح الروح القوية لهذا افكار، إلى بإعتبارها تبدي نوع من الرفض لقيم وحضارة هذا المجتمع الذي هو مجتمع الأبيض المسيطر. وهكذا فالثورة التي يتكلم عليها هذا الكتاب هي ثورة نفسية بهدف محاولت الانسجام مع قيم هذه الحضارة أو هذا المجتمع الذي يرفض الإنسان الملون ولو ضمنيا.[1]

يمكن القول إن نظرية فانون كانت ترغب في استيعاب جميع البشر حيث كان من أهم الفكرين الذين تبنو قضايا الشتات الزنجي فطالب بحقوقهم ودافع عنهم وهذا ما نلمسه في فلسفته، كما أنه سعى إلى مواجهة الإمبريالية الغربية من خلال تقويض مرتكزاتها وإدانة مشاريعها الهادفة إلى الهيمنة التي همشت الآخر أقصته، كما سعى من خلال كتابه "بشرة بيضاء وأقنعة سداء" إلى وضع حد لعملية الاستلاب الثقافي التي يتعرض إليها الزنجي أينما كان.

ب ـ كتاب المعذبون في الأرض:

قام "فانون" في كتابه هذا بتحليل شخصيتين وهما المستعَمر والمستعِمر والعلاقة الترابطة بينهما تحليلا سيكولوجيا إجتماعيا وتاريخيا كما تتبع هذه العلاقة منذ فترة الاحتلال وما بعده.

قام "فرانز فانون" بإنهاء بكتابة "المعذبون في الأرض" عندما كان المرض الخبيث ينهش جسده كان "فانون" يعلم أن الموت على بعد خطوات صغيرة منه، وأن سرطان الدم لن يمهله سوى بضع أشهر لا أكثر، فأخذ يسرع خطاه ليفرغ من وضع كتابه قبل أن يلقى حذفه.....، بعد تفاقم مرضه نقل إلى أحد المستشفيات في سويسرا ومن ثم نقل مرة أخرى إلى واشطن وهناك أنجز كتابه السالف الذكر في السابع من ديسومبر 1961، ومن بعدها نفذت برودة الموت بخطى بطيئة إلى جسده ويلفظ أنفاسه الأخيرة[2].

[1] حفناوي بعلي: مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، دار العربية للعلوم –ناشرون– لبنان، ط الأولى، 2007، ص102

[2] ينظر فرانز فانون: المعذبون في الأرض، ص12

إن الفكرة الرئيسية التي يدور حولها كتاب هي أن العنف هو السبيل الوحيد للقضاء على الاستعمار، وإن هذا العالم الاستعماري الذي قام على العنف، والجماهير المستعبدة تشعر بهذه الحقية شعورا قويا، ولكن شعورها هذا لا يصير إلى كفاحا مسلحا فوريا، ذلك لأن الأحرزاب السياسية البرجوازية تستبعد فكرة العنف بل دعونا نقل أنها تخشى منه بالرغم من أنها عنيفة في أقوالها غير أنها معتدلة في مواقفها، حيث تنحصر مواقفها إلى في المقالات والخطبات التي تتحدث عن حقوق الإنسان وتقرير المصير، إن هذه الأحزاب لا تدعوا إلى العنف لأنها لا تهدف إلى قلب الأوضاع التي أنشأها الاستعمار رأسا على عقب، ولا تطمع في أكثر من استلام مقاليد الحكم من يد المستعمِر وكل ما تريده هو أن تفاوض المستعمِر وتنتهي معه إلى التسوية، إن البرجوازية الوطنية كما سماها فانون تخشى النتائج التي تنجم عن لجوء الشعب إلى العنف، كما تخشى النتائج التي قد تصدر عن هذا الإعصار الجبار(الثورة)، إنها تخشا أن تكنسها رياح هذا الاعصار فلا تتفأ أن تقول للمستعمِر(مازلنا قادرين على أن نوقف المذبحة فالجمهير مزالت تثق بنا، فأسرعوا إذا كنتم لا تريدون أن تتعرضوا للمخاطرة بكل شيء)[1].

أراد "فانون" إيصال فكرة معينة من كتابه هذا وهي أن الشعب المستعمَر لا يجب أن يثق بالأحزاب السياسية والتي سماها بالبرجوازية الوطنية فهي برأيه تعد أحد أدوات الاستعمار التي يتمكن من الخلالها السيطرة على الشعوب، وأنه لايوجد شيء اسمه الإدماج في الدول المستعمِرة والتي كانت تنادي بها معظم الأحزاب السياسية لأنه من المستحيل أن تعتبر الشعوب المستعمَرة جزء منها، ولن تعطي لهذه الشعوب حقوقها أو تسمح لها بتقدرير مصيرها، وإذا أرادوا حقا أن يخرج من ظلامات التي أقحمه فيها الاستعمار وسياساته فعليها بحمل السلاح وبذل كل غالي ونفيس من أجل سلب حريتها.

خلاصة لكل ما سبق يمكنا القول أن كتابات "فانون" قد ذاع سيطها في أقسام الدراسات النقدية والعرقية وخاصة في الولايات الأمريكية المتحدة فهي من أكثر الدول نفاقا حيث نجدها سباقة دائما

[1] ينظر فرانز فانون: المعذبون في الأرض، ص14

بالدعوة إلى المساوات بين الأجناس والمنادات بحقوق الإنسان وبسماح للشعوب بتقرير مصيرها ولكنها في المواقف الحاسمة نجدها مبادرة لدعم دول الاحتلال بكل ما أوتيت من قوة، وإشعال نار الفتنه بين الدول وخاصة الدول الإسلامية، ودائما ما تثبت لنا أن كل ما تدعوا إليه ليس سوى شعارات بالية وكلام مزخرف لا أساس له من الصحة، وكل المؤترات الدولية التي تعقدها بهدف الدفاع على حقوق الإنسان والشعوب المستضعفة ليست إلا مسرحيات تحاول من خلالها تجميل صورتها أمام العالم.

2. إدوارد سعيد Edward Said:

كاتب فلسطيني يعيش في الولايات الأمريكية المتحدة صاحب كتاب الإستشراق الذي صدر في أمريكا عام 1978م، والذي زلزل قواعد مؤسسة معرفية كاملة كالت لها السلطة والسيطرة، وأحدث ثورة على نظرة الغرب إلى الشرق وترجم هذا الكتاب إلى تسع لغات عالمية منها: الإنجليزية والفرنسية؛ الألمامنية، الإسبانية؛ الماليزية والإيطالية اِضافتة إلى الفارسية؛ والتركية؛ واليابانية، وأصبح هذا الكتاب الأهم في التأسيس للنقد مابعد الكولونيالي لأنه موضع خطاب الإستشراق في العالم، وأخذ في اعتباره العناصر الثلاثة عوانا لكتابه وهي: العالم والنص والناقد[1].

لقد تطرق "إدوارد سعيد" في كتابه "الإستشراق" إلى العديد من القضايا المخبوءة والخطيرة التي لا يجرء الجميع على اقتحام فظائها ولعل هذه الجرأة التي إمتلكها تعود إلى تأثره الشديد بمفكر السلطة بإمتياز "ميشال فوكو الذي عمل على توجيه نقده اللاذع للسلطة وقيامه بفضح نظام الحكم الجائر الذي استبعد فئات هامشية من المجتمع، ولقد جاء كتاب "إدوارد سعيدEdward Said " مهتما بتطبيق نظريات "فوكو" حول الخطاب والسلطة وعلى العلاقات الثقافية والسياسية بين الشرق والغرب، وبالتالي فالشرق مفهوما من قبل "سعيد" كبناء خطابي محدد بشكل بشكل تاريخي ومؤسسة بواسطة المتخيل والمعجم الغربيين، الأمر الذي أدى إلى توليد معنى الشرق وهيمنة

[1] محمود قاسم: موسوعة الأدباء نهاية القرن العشرين، الدار المصرية اللبنانية –القاهرة– مصر، ط الأولى،2000، ص217

الغرب عليه، وفي نفس الوقت رفض سعيد فكرة أن الشرق ظل سلبيا خلال وبعد الامبريالية الغربية[1].

بفضل جرءة التحلى بها "إدوارد سعيدEdward Said " في طرح أفكاره جعلته يصبح من أهم وأبرز النقاد الثقافيين في العالم سواء أكان في العلم الغربي أو العربي ومن أهم وأبرز المنظرين في مجال النظرية مابعد الكولونيالية والنظرية الثقافية خلال العقود الأخيرة.

يؤكد "إدوارد سعيدEdward Said " أن الإستشراق يتكون من كيان متحرر للأفكار والقيم التي تعود في أصولها إلى العصر الكلاسيكي القديم، ويظهر في الكتابات التي سجلها الرحالة ورجال الإدارة الاستعمارية، والقواعد العسكريون الغربيين عن الشرق، وكذلك في الأعمال الإبداعية للروائيين والفنانين والمؤلفين والموسيقيين، وإعتمادا على أعمال منظرين أمثال أنطونيو غرامشي وميشال فوكو، فهم "إدوارد سعيد" أبنية المعرفة الأوروبية والصورة النمطية للثقافة الأخرى على أنها خطابات، كما يصطلح فوكو، وهو يعني أن أعمال الغربيين التي تناولت الشرق عبارة عن ممارسات استطرادية تثبت معنى الأشياء التي يتم عبرها تحصيل المعرفة والحقيقة، ويرى أن تثبيت معرفتنا (نحن) والعاني الخاصة بنا للأشياء، مثل الشرق فله نتائج اجتماعية وسياسية مهمة.[2]

إن نظرة الإنسان الغربي تصور المستعمرات بصورة سلبية وقللت من أهميته وجعلت منها بلدان مستعبدة لا ثقافة لها وهذا ما نلمسه من خلال الأعمال الفنية و الأدبية التي ينتجها الغرب وذلك بغية تشكيل خلفية إجابية وصورة متحظرة لمجتمعهم، ولقد تم غرس هذه الأفكار عن طريق الأنساق الثقافية داخل الخطاب والتي تبلورت عبر الزمن وإكتسبت حقيقتها ومصدقيتها عن طريق الإستعمار والألفة، كما نلاحظ أن "إدوارد سعيد" يقر أنه من الضروري على دول الشرقة أن تكون على دراية بتراثيها فهو يعتبره الأدات الوحيدة التي يمكن من خلالها حماية نفسها من الظافكار المسمومة التي يحاول الغرب دسها في خطاباتهم كمحاولة منهم لطمس الهوية الإنثروبولوجية للمجتمعات الأصلانية.

---

[1] جمال بلقاسم، جامعة جيجل الجزائر، نقلا عن بوحيرش نادية: نظرية ما بعد الكولونيالية في التلقي العربي، ص61

[2] جون سكوت: خمسون عالما إجتماعيا أساسيا، ص200

قام "إدوارد سعيدEdward Said " في مؤلفيه "إستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" بالتصدي للدراسات الشرقية بواسطة الغرب، متزودا بترسانة من الأدوات النقدية المتميزة في كتاب "ميشال فوكوMichel Foucault " النيتشاوية / الجديدة التي تقرن المعرفة بالقوة، والحقيقة بإرادة الحقيقية: الخطاب، التمثيل علاقة القوى، الإقصاء، الإنشاء، جميعها وضفها "إدوار سعيدEdward Said " في خدمة المفهوم المركزي المعتمد (الإنشاء)، أو الإنشاء الخطابي وفائدة هذا المفهوم العلومية هي الكشف عن عمليات الاستمباه الحطابي للدلالة، في عملية الإنتاج المعرفي بحثاعن الإرادة المعرفية في المعرفة عن كوامنها الكامنة في الخطاب، بالتعاطي مع المعرفة كآثار إركيولوجية، مع الخطاب كأثر معرفي بعيدا عن أية سببية أو غائية تبسيطية، حيث تكون القراءة ـ حسب فوكو ـ اعادة قراءة وكتابة كإعادة كتابة المكتوب والقروء، ولا يبدو أن "إدوارد سعيد Edward Said" يعتمد قراءة فوكو بحذافيرها، وإنما يتبنا بعض مسطلحاتها المنهجية في مجاله الأكاديمي كأستاذ للأدب المقارن في الجامعات الأمريكية[1].

إن الاستشراق حسب رأي الناقد "إدوارد سعيدEdward Said " هو أسلوب من الفكر القائم على التمييز الإنطيولوجي (الوجودي) ومعرفي (إبستيومولوجي) بين الشرق والغرب، اعتمدته الدراسات الأكاديمية الغربية في إعادة تشكيل الشرق وصياغته في عملية الإنشاء الخطابي، في إطار علاقة القوة والغلبة في مرحلة ما بعد عصر التنزير، وإلى جانب فوكو ومصطلحاته (الإركولوجية)، يعتمد "سعيد" التمييز بين الذي قدمه الفكر الماركسي (انطونيو غرامشي Antonio Gramsci) في تمييزه ما بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي وتداخل كلا المجتمعين عبر ما سماه غرامشي كنتية لمؤثرات المجتمع السياسي على المجتمع السياسي، وقد استخدم "سعيد" هذا المفهوم كأداة لاستبيان علاقة الثقافة بالسياسة، والسلطة بالمعرفة وعملية الاستبناء المعتمدة في مجال الاستشراق بصفة خاصة، والثقافة والإمبريالية بصفة عامة[2].

قام إدوارد سعيد بتحليل أربعة معاني التي تضمنها الإِستشراق، أولهما: أن لبخطابات الإِستشراقية (تجوهر) الشرق بفرض شكل خارجي ومتجانس، وبالتالي خطئ تماما، على مجموعة متباينة ومتغيرة من الخبرات والمؤسسات، ولذلك فإن (الشرق) في الخطاب الإِشتشراقي يكون مبنيا

[1] حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص80

[2] المرجع نفسه، ص81

بوصفه كيانا ثابتا وسلبيا وغير مستقل وتقليدي وغير غربي بصرة أساسية، والمعنى الثاني: لتقديم الشرق على أنه (آخر) يعارض الغرب منذ الأزل، وبهذه الطريقة فإن العلاقة بين الشرق و الغرب تشكل تناقضا ثنائيا، حيث يستخدم مفهوم الشرق وكل ما يرتبط به من خصائص مثل الصاق حكم الطغات على الشرق كنوع وحيد للحكم السياسي ، لبناء شعور للهوية الغربية على أنها بمنأى عن الشرق، ومن هنا يتم توكيد هذه الهوية من خلال تقديم الشرق بإعتباره تهديدا مستمرا للغرب وقيمه. والمعنى الثالث: وهو المادة الأرشيفية الكبيرة للأعمال (الاستشراقية) تتشكل مجموعة فاعلة من القيود على ما يمكن قوله والتنفكير فيه وفعله إيزاء الشرق، وهكذا يظهر النقد "سعيد" كيفية أن إرادة معرفة الشرق توحي بالنظر إلى الاستشراق على أنه مجموعة من التمثيلات من خلال تقديم الوسائل الفكرية والثقافية لحكم الشرق من قبل الاستعمار والإنبريالية الأوروبية، وأما المعنى الأخير: فهو المعنى سياسي مباشر وعملي كما أكد أنت التمثيلات الإِستشراقية تعوق بصفة كبيرة التبادل المناسب والتفاعل المتبادل بين الشرق والغرب[1].

إدوارد سعيد قدّم تحليلاً لأربعة جوانب أساسية للإستشراق، الجانب الأول يركز على كيفية تجسيد الإستشراق للشرق بشكل مجمع وثابت، رغم تنوعه وتطوره، مما يجعله يظهر ككيان ثابت وسلبي، يفتقر للستقلالية والتجديد، ويُعرض عادةً بصورة تقليدية وغير حضارية. الجانب الثاني يبرز كيفية تصوير الشرق على أنه "الآخر" الذي يُعارض الغرب، وبالتالي يُسخر لبناء هوية غربية تميز نفسها عن الشرق، وتستدعي الهواجس الأمنية من خلال تقديم الشرق كتهديد مستمر للغرب وقيمه. الجانب الثالث يُسلّط الضوء على كيفية تشكيل الأرشيف الاستشراقي قيوداً فعّالة على المعرفة والتفكير حول الشرق، وكيف يُظهر النقد السياسي كيف أن الاستشراق يقدّم تصوراته للشرق بوصفها تمثيلات مفروضة عليه من خلال أدوات الحكم الفكري والثقافي للإمبريالية الأوروبية. الجانب الرابع يناقش كيف أن التمثيلات الاستشراقية تعيق بشكل كبير التفاعل السليم والتبادل الثقافي بين الشرق والغرب

[1] جون سكوت: خمسون عالما إجتماعيا أساسيا، ص201

3. هومي بابا Homi K. Bhabha:

يعد الناقد والمفكر الهندي "هومي بابا" عالما من أعلام النقد الفكر الغربي المعاصر وأحد أبرز وأكثرها تأثيرا على مستوى العالم في مجال الدراسات الكولونيالية والنظرية النقدية إلى جانب اِنتشار أفكاره وحظوه باِهتمام كبير من طرف النقاد والمفكرين وسبب كل هو طرحه لقضايا جريئة والجدية ومن أبرزها قضية الهوية؛ والثقافة؛ والهجنة؛ ونقد مركزية الغرب، فسعى إلى فهم موقف الأقليات وغيرها من المواضيع التي تقاطعت فيها الدراسات الثقافية ونظرية مابعد الكولونيالية.

كان للناقد عدة مرجعيات فكرية اِستند عليها في طرحه لأفكاره حيث تأثر بكتابات ومنظرين فرنسيين على رأسهم "ميشال فوكوMichel Foucault" و"جاك لاكانJacques Lacan " إضافة إلى تقويضية "جاك ديريداJacques Derrida" حيث تركت أفكار هؤولاء أثرا كبيرا في أعماله الأدبية ونقدية، كما نلمس من خلال هذه الأعمال وجود عقة متجاذبة بين "هومي بابا" وتلك البنى الدياليكتيكية أو الأزواج المفاهيمية التي ينطوي عليها الدياليكتيك "الهيغلي" كالذات والموضوع؛ والذات والآخر؛ السيد والعبد حيث يبدو الأمر عند "هومي بابا" كما لو أن هذه الأزواج لا يمكن العش معها ولكن لا يمكن العيش من دونها، وهكذا فإن الكتابة عند "هيغل" ضدّ تقتضي عند "بابا" تقتضي العمل عبر هيغل نفسه ومن خلاله، ومن علاقات "بابا" التي لايمكن إغفالهاعلاقته بتيار دراسات التابعة الذي يحمل الاسم ذاته "Subaltern Studies " التي صدرت عام1982 تحت رئاسة تحرير المؤرخ الهندي الماركسي البارز "راناجيت جوحا"[1].

تأثر الناقد الهندي "هومي بابا" بنظرية التحليل النفسي، واستخدم بعض مفاهيمها في تطوير خطابه النقدي المتمحور في مجال نظرية ما بعد الكولونيالية. ومن بين المصطلحات النفسية التي قام بابا بإدخالها إلى هذا النقاش، حسب ما ذكر "بيل أشكروفت وآخرون"، يمكن ذكر مفاهيم مثل "الهوية" و"الاختبار" و"الانتقالية"، كمثال على ذلك« مصطلح الازدواج الوجدانيAmbivalence

[1] أليفيا شوته: الغيرية الثقافية: التواصل العابر للثقافات والنظرية النسوية في سياقات الشمال – الجنوب، ترجمة يمنى طريف الخولي، نقيض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد الاستعماري والنسوي ج1، ص103

ولقد استعار هومي بابا المصطلح ووظفه وذلك ليصف المزيج المركّب من الانجذاب والنفور الذي يسم العلاقة بين المستعمر والمستعمر؛ هذه العلاقة متأرجحة لأن الذات المستعمرة ليست مناهضة للمستعمر ببساطة، وعوضا على افتراض أن بعض الذوات المستعمرة متواطئة والبعض الآخر ذوات مناهضة، يوحي مصطلح الازدواج الوجداني بأن التواطؤ والمناهضة يتساوقان في علاقة متأرجحة داخل الذات الكولونيالية. والأمر المهم في نظرية "هومي بابا "من ناحية أخرى، أن الازدواج الوجداني يخلخل السلطة القاطعة الخاصة بالهيمنة الكولونيالية لأنه رأى الإزدواج الوجداني يفصم عُرى العلاقة البسيطة بين المستعمَر والمستعمِر»[1].

لقد كان للناقد الفلسطيني "إدوارد سعيد" تأثيرا فكريا جليا على الباحث "هومي بابا" حيث يميل له في «فكرة الهوية ثم الهجنة، رغم ما يوجد بينهما من اختلاف بين، فإذا كان "إدوارد سعيد "ينعى على الاستعمار ما فعله في الذوات المستعمَرة، ويدعو إلى المقاومة من خلال رفض التنميطات والتمثيلات التي يفرضها الغربي على الشرقي حول الهوية فإن بابا يركز على الهجنة من خلال تخفيف الصدام مع الاستعمار، ودعوة الأقليات التي تعيش في الغرب إلى القبول بوضعهم الهجين (أصول أجنبية/ثقافات مختلفة/تشرب ثقافة جديدة). ويلتقي "هومي بابا" كذلك مع أفكار "إدوارد سعيد" في أننا لا نولد بهويات ثابتة بل إن هويتنا نكتسبها من خلال محطات اللقاء مع الآخر، ولذلك نجد هومي "بابا" يوضح أن مسألة تعيين الهوية ليست أبدا مسألة تأكيد على هوية متعينة مسبقلا، ولا هي نبوءة تحقق ذاتها، لأنها على الدوام إنتاج صورة للهوية وتغيير للذات باتجاه اتخاذها تلك الصورة[2].

قام المفكر "هومي بابا" بتأليف عدد لابأس به من المؤلفات غير أن عمله "موقع الثقافة Culture of Location" كان له وقعا كبيرا في ساحة النقد مابعد الكولونيالي ولقد« أثار العمل كثيرا من الاهتمام المتباين والخلافي فقد وصف لجهة المديح والتقويم الإيجابي، بأنه عمل يمضي

[1] بيل شكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية – مفاهيم رئيسية، ص61

[2] سليم حيلولة: الهوية ومفارقاتها في فكر إدوارد سعيد النقدي– بحث في الأصول الفكرية، أخذا عن بوحيرش نادية: النظرية الكولونيالية في التلقي العربي، ص81

بالنقد الثقافي إلى مناطق جديدة ومهمة بصورة حاسمة، تاركا أثره البالغ على الطريقة التي تدرك من خلالها الممارسات الثقافية وبأنه واحد من المُتون الأساسية في النظرية الكولونيالية المعاصرة، واضعا "هومي بابا" كواحد من أبرز المنظرين مابعد الكولونياليين، واعتبر "تيموثي ميتشيل" "موقع الثقافة" أهم وإن يكن أيضا أصعب الأعمال المعاصرة المعبرة عن النظرية مابعد الكولونيالية ورأى "جيمس صيداوي" أن كتاب "بابا "مكثف لا تسهل قراءته على نحو سريع، وأنه مجرد تجريدا شديدا يدعو إلى الإحباط في بعض الأحيان إلا أنه يحلل بجرأة معضلات الهويات والحركات مابعد الكولونيالية لمعضلة تناقضها وتخفيها في قوالب وصور تثير الإلتباس وطبيعتها الهجينة[1].

انصبت جهود هذا المفكر حول دراسة العلاقات القائمة بين المستعمِر والمستعمَر وهذا بتوضيه مجموعة من المفاهيم الفكرية التي أصبحت فيما بعد لصيقة باسمه مثل مفهوم "الهجنة" والذي «استمده أصلا من نظرية "إدوارد سعيد" ثم طور، وكذلك فهوم "الفضاء الثالث" وجعل هومي بابا من هذه المصطلحات وسيلة لتوجيه نقد لاذع للسلطة الاستعمارية فاضحا أساليبها وساعيا إلى إدانة مشاريعها، وقد تمكن "هومي بابا" من جعل هذه المفاهيم وسيلة لتوجيه انتقادات لاذعة للسلطات الاستعمارية، تقوم بفضح أساليبها وتسعى إلى إدانة مشاريعها. وقد قام مشروعه الفكري على استكشاف الموقع الثقافي الهجين والبيني، هذا مع تركيزه على المابينيات، فهو على قناعة تامة بأنه لا يمكن النظر إلى المستعمِر والمستعمَر على أنما كيانان منفصلان يحدد كل منهما ذاته على نحو مستقل[2].

قامت أعمال هوميي بابا على مفهومين أساسيين والذين تميز بهما في ساحة النقد مابعد الكولونيالي وهما "الهجنة" و"الفضاء الثالث"، إن مفهوم الهجنة الذي جاء به هذا الناقد «قد أحدث قفزات كبيرة على المستوى المفرداتي للدراسات الثقافية خلال سنوات 1990 في سياق المناقشات حول العولمة وثقافات الشتات وما بعد الاستعمارية. وهو في جوهره عملية تنطوي على (المزج

[1] ن. شمناد: خطاب ما بعد الغستعمار في النقد العربي، ندوة وطنية حول تطورات الجديدة في النقد الأدبي، قسم العربية، كلية العلوم الاجتماعية، لا برنتلمناكيرلا، 22 اكتوبر 2013

[2] بوحيرش نادية: النظرية ما بعد الكولونيالية في التلقي العربي، ص83- 84

معا) لعناصر ثقافية منفصلة آنفا لخلق معاني وهويات جديدة، وفي الواقع، لعب مفهوم الهُجنة دورا بارزا في زعزعة فكرة الثقافة الثابتة التي تمتلك مواقع آمنة تنأى بها عن أي تغير لأن الهُجن زعزعة استقرار الحدود الثقافية وطمستها من خلال صهر وتمْزيج[1].

أما المفهوم الثاني فهو مصطلح "الفضاء الثالث" حيث «يجادل بأن كل البيانات والأنظمة الثقافية تصاغ في فضاء يسميه "الفضاء الثالث للتعبير"، عادة ما تظهر الهوية الثقافية في هذا الفضاء المزدوج والمتناقض وهو بالنسبة إلى "بابا" يجعل الادعاء بوجود "نقاء" هرمي للثقافات قضية واهية، فالتعرف على هذا الفضاء المزدوج للهوية الثقافية بالنسبة لـ "بابا" ربما يساعدنا على التغلب على غرائبية التنوع الثقافي لصالح لتعرف على هجنة ممكنة يمكن للاختلاف الثقافي أن يعمل بداخلها[2].

نستخلص مما سبق أن الناقد "هومي بابا" كان كغيره من النقاد والمنظرين للنظرية مابعد الكولونيالية حيث كرس كل أعماله وأفكاره للدفاع عن الدول المستعمَرة والفئات المهمشة، كما سعى جاهدا لإسقاط القناع على وجه الحقيقي للمستعمِر، ومناهضة مخلفات الوجود الاستعماري ومحاولت تغلغله في ثقافات المجتمعات المستعمَرة، فقد بين أن الإستعمار سعى إلى الحظ من من قيمة تلك الشعوب ساعيا لإلى إلحاق صة الدونية بهم نتيجة لإختلاف الأعراق التي ينتمون إليها، ومحاولت ترسيخ فكرة أن الغرب هو من له الحق في السيطرة على العالم وتسييره بكونه هو الأكثر تقدما وتحضرا سواء أكان ذلك على الصعيد الثقافي أو الإجتماعي أو العلمي أو حتى السياسي.

[1] كريس باركر: قاموس الدراسات الثقافية، ص48

[2] بيل شكروفت وآخرون: مابعد الكولونيالية –المفاهيم الرئيسية–، ص199

المبحث الثالث: مرتكزات النقد مابعد الكولونيالي:

أ. ثنائية الشرق والغرب:

ب. تحاول نظرية مابعد الكولونيالية فهم الشرق والغرب فهام حقيقيا، برصد العلاقات التفاعلية التي توجد بينهام، سواء أكانت تلك العلاقات إيجابية مبنية على التسامح والتفاهم والتعايش أم مبنية على العدوان والرصاع الجدلي والصدام الحضاري، كما يذهب إلى ذلك "صموئيل هنتنغتون" في كتابه "رصاع الحضارات"، ويتمظهر الرشق بشكل جيل في نصوص وخطابات الاستشراقية، ومن ثم يتحول هذا الاسترشاق من خطاب معرفي موضوعي إلى خطاب سياسي كولونيالي ذاتي ومصلحي، لذا فقد تسلح مثقفو نظرية "مابعد الستعامر" بآليات التفكيك والتقويض لتشتيت مقولات المركزية التي انبنت عليها حضارة الغرب[1].

سعى نقاد النظرية مابعد الإستعمار لفهم هذه الثنائية بسبب العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب منذ الأزل، وسبب ذاك التوتر يعود إلى الحروب الصليبية التي شنها الغرب ضد كل ما اِعتبروه تهديدا لهم، حيث كان جل اِهتمامهم منصبا على الدول الشرقية، أما السبب الإخر هو تصنيف الغرب نفسه في خانة التقدم والرقي، باعتبار نفسه صانع للتاريخ وغير للعالم نحو الأحسن، واِعتبروا الشرق سردميا سكونيا، فما عليه سوى الخوض وطاعة[2].

ت. مواجهة التغريب:

اِستهدفت "نظرية مابعد الاِستعامر" محاربة سياسة التغريب والتدجين واالستعلاء التي كانْ ينهجها الغرب في التعامل مع الرشق، بالاستعانة بعلم الاستغراب الذي ينصب على فهم الغربّ وتعرية تصوراته الفكرية والذهنية المعتقدية والإيديولوجية. ومن ثم شمر مثقفو نظرية "مابعد االستعامر" عن سواعدهم لفضح الهيمنة الغربية، وتعرية مرتكزاتها السياسية والإيديولوجية، مع

[1] جمال حمداوي نظرية مابعد الكولونيالية أطروحة في خدمة علم الإستغراب، مجلة الاستغراب، يناير 2018، ص60

[2] ينظر سعيدة عيشونة: قراءة في مفاهيم ومجال البحث، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة الصديق بن يحي–جيجل– الجزائر، ص181

تبيان نواياها الاستعامرية القريبة والبعيدة، والتشديد على جشعها المادي لاستنزاف خريات الشعوب الأخرى، لذا يتسم الخطاب الثقافي الغربي بنزعة التمركز، وتأكيد خاصيات التفوق والتمدن والتحرض مقابل خطاب دوني يتصف بالبدائية، والشعوذة والشهوانية والسحر الطقوسي الخرافي[1].

ج. علاقة الأنا بالآخر:

ترتكز نظرية "مابعد االستعامر"على مناقشة عالقة الأنا والغري، في ضوء مقاربات (مابعد الحداثة) كالمقاربة الثقافية، والمقاربة الماركسية، والمقاربة التاريخية الجديدة، والمقاربة السياسية وذلك كله من أجل فهم العالقة التفاعلية بين الأنا والغري، هل هي علاقة جدلية سلبية قامئة علىّ العدوان والصراع أم هي علاقة إيجابية قامئة على الأخوة والصداقة والتعايش والتسامح؟ ام هي عالقة قامئة على العدوان والكراهية والإلقصاء والصراع الحضاري أم هي عالقة تفاهم وتعاون وتكامل؟ [2].

د. الدفاع عن الهوية القومية:

كتاب النظرية الاستعمارية ومن يتبنونها رفضوا فكرة الإِندماج في الحضارة الغربية، مُنتقدين بشدة سياسات الاقصاء والتهميش والهيمنة المركزية. بالإضافة إلى ذلك رفضوا وبشكل قاطع سياسة الاستلاب والتدجين، كما دعوا إلى تعزيز الثقافة الوطنية الأصيلة والمطالبة بالهوية القومية الموحدة، من بين هؤلاء، نجد كُتاب الحركة الزنجية الأفريقية الذين بذلوا جهوداً كبيرة لمواجهة التأثيرات الغربية، حيث تمسكوا بإيمانهم بالهوية السوداء ودافعوا بقوة عن تراثهم الإفريقي الزنجي، وفي سياق مشابه رأينا الكُتاب الفرنكوفونيين في المغرب العربي يقفون في وجه الاستعمار بإستخدام لغتهم، حيث نقدوا وكشفوا عن أخطاء الحضارة الإِستعمارية بأسلوب متقن من خلال

[1] جمال حمداوي: نظرية مابعد الكولونيالية أطروحة في خدمة علم الإستغراب، ص61

[2] المرجع نفسه، ص62

إستخدامهم اللغة الفرنسية بشكل متقن ممزوجة باللغات الوطنية بطريقة مثيرة للإهتمام ومبتكرة، تنتج عنها روح من السخرية والاسلبة والسخرية[1].

هـ. الدعوة إلى علم الاستغراب:

إذا كان المفكرون الغربيون يتعاملون مع الرشق في ضوء علم الاسترشاق باعتباره خطابا استعامريا وكولونياليا من أجل إخضاعه حضاريا، والهيمنة عليه سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، فإن المثقفين الذين ينتمون إلى نظرية "مابعد االستعامر" كحسن حنفي – مثال– يدعون إلى استرشاق مضاد، أو ما يسمى أيضا بعلم الاستغراب بغية تفكيك الثقافة الغربية ترشيحا وتركيبا، وتقويض خطاب التمركز تشتيتا وتأجيلا، وفضح مقصدية الهيمنة على أسس علمية موضوعية[2]

و. النقد الذاتي:

لم يكتف مثقفو نظرية "مابعد االالكولونيالية" أيضا بتوجيه النقد إلى الغرب، بل سعوا إلى نقد ذواتهم ضمن ما يسمى بالنقد الذايت، كماعند الناقد الكيني الأصل عبد الرحمن جان محمد حينما رصح قائلا: «أعتقد أننا نحتاج إلى الإفصاح بشكل أكثر انتضاما عن الواجبات التي تفرضها علينا هذه الوضعية البينية، وهي واجبات أشعر أنها ميكن استشعارها من وضعية مثقف "العامل الثالث" في الأكادمييات الغربية. إننا لا نزال نكافح ضد الهيمنة المعرفية للغرب، لا نزال نحارب "الاستعامر" و"الاستعامر الجديد"، ولكن بالمقارنة مع التابع في"العامل الثالث" نحن نعيش في ظروف بالغة الرفعة، بعض النقاد يؤكدون أن نوعا معينا من نظرية ما بعد الاستعامر ميثل هو نفسه جزءا من البنية القامئة عىل الهيمنة، أي أنه نوع مستمر ومكرر من الاستعامر، ولهذا أعتقد

[1] ينظر سعيدة عيشونة: قراءة في مفاهيم ومجال البحث، ص138

[2] جمال حمداوي: نظرية مابعد الكولونيالية أطروحة في خدمة علم الإستغراب، ص62

أنه الا لنا أن نستمر على خطى جاياتري سبيفاك وآخرين، فنتفحص وضعية ذواتنا من كل النواحي وبشكل أكثر انتظاما[1].

ز. التعددية الثقافية:

دافع كثير من مثقفي نظرية "مابعد االستعامر" عن التعددية الثقافية، ورفضوا التمركز الثقافي الغربي والثقافة الواحدة المهيمنة. كام رفضوا سياسية التدجين والتغريب والاقصاء، ونادوا إلى التنوع الثقافي والاِنفتاح الثقافي عبر آليات المثاقفة، والرتجمة، والنقد، والتفاعل الثقافي. بمعنى آخر هناك ثقافات جديدة إلى جانب الثقافة الغربية المركزية، كالثقافة العربية، والثقافة الآسيوية، والثقافة الإفريقية، والثقافة الألمازيغية... بمعنى ليس هناك ثقافة مهيمنة واحدة ووحيدة، بل هناك ثقافات هجينة متعددة ومتداخلة ومتلاحقة2.

المبحث الرابع: النقد مابعد الكولونيالي في البيئة العربية:

دراسات مابعد الكولونيالية تمثل توجهًا نقديًا وفكريًا حديثًا يسعى إلى فهم وتحليل العلاقات السلطوية والاستعمارية التي شكلت التاريخ العالمي والتأثيرات التي لازالت تلاحق الأمم المستعمَرة والمستعمِرة سابقا، وبالتالي يتمحور النقدية مابعد كولونيالية حول فهم العقلية الاستعمارية، وكيف أن هذه العقلية ما زالت تؤثر في السياسات والاقتصاديات والثقافات المعاصرة في الساحة النقدية العربية، كان استقبال النقد ما بعد الكولونيالي يخضع لتحديات متعددة، نابعة من السياقات السياسية والثقافية والتاريخية الخاصة بالمنطقة، فقد شكل الماضي الاستعماري للعالم العربي وتأثيرات المستعمار على مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية، تحديًا لفهم نظرية مابعد الكولونيالية وحاولت تطبيقها في السياق العربي.

وبما أن دراسات ما بعد الكولونيالية تركز على اِعادة تقييم الهويات والسلطات والثقافات فإن نقاد العرب انقسموا على جمهرتين، بعضهم رحب بتلك النظرية واعتبروها أداة قوية لفهم تاريخهم

[1] المرجع نفسه، ص63

[2] جمال حمداوي: نظرية مابعد الكولونيالية أطروحة في خدمة علم الإستغراب، ص64

وحاضرهم، في حين اِعتبر آخرون أنها لا تأخذ بعين الاِعتبار السياقات الثقافية والتاريخية الفريدة للمنطقة، مما دفعهم إلى التشكيك في تطبيقها بدقة.

بعض النقاد العرب أيضًا اِستخدموا دراسات مابعد الكولونيالية كأداة للنقد السياسي، حيث ربطوا بين الهيمنة الثقافية الغربية وسياسات الاِستعمار السابقة والحاضرة، وتأثيرها على تشكيل الهويات الوطنية والثقافية في العالم العربي، بالتالي فإن فهم واستقبال النقاد العرب لدراسات ما بعد الكولونيالية يمكن أن يتفاوت باِختلاف السياقات والمناهج الفكرية، ولكن بشكل عام تظل هذه النظرية تثير الكثير من الجدل والاِهتمام في الساحة النقدية العربية المعاصرة.

يعد حلول الاِستعمار في المنطقة العربية التي عانت من تواجده على أرضها لسنوات طويلة دافعا للبحث في خطابه بهدف نقضه عبر نص مضاد، لاسيما على المستوى الأدبي وهذا يتأتى من قدرة النصوص الأدبية على تمثيل الواقع بكافة أشكاله ـ أثناء وبعد الاستعمارـ وبناء على ذلك استعان الناقد العربي بنظرية خطاب مابعد الكولونيالية، ونتيجة لذلك أصبح النقد العربي معنيا بهذا الخطاب مما اِستدعى العناية به من حيث البحث في أسسه المعرفية والفلسفية، أضف إلى ذلك منهجيته وآلياته النقدية، وهذا بدوره يسهم باِثراء المشهد النقدي العربي، ومن هنا اِنبثقت الحاجة لهذه الدراسة التي تحاول البحث في الخطاب الكولونيالي واِستقباله في النقد العربي المعاصر نظريا وتطبيقيا، وفضلا عن تعالقه مع مقولات واِتجاهات لعل من أبرزها: الاِستشراق والنقد الماركسي؛ والنقد النسوي في قضايا منها التمثيل الأدبي، والعنصرية العرقية؛ والهجنة والتحليل النفسي؛ والهوية والمقاومة واللغة، وهكذا تبلورت فكرة هذه الدراسة لقراءة الواقع النقدي العربي المعاصر، وملاحضة مقدار تداخله في النشاط النقدي ظمن الخطاب مابعد الكولونيالي[1].

يوضح لنا الناقد "رامي أبو شهاب" في أنه توجب على النقد العربي المعاصر إلى اِستكشاف الخطاب الكولونيالي واِستقباله، وذلك بسبب دور الاِستعمار في تشكيل هويات وثقافات المنطقة العربية. يُعَدُّ الاِستعمار الدافعاً للبحث في النقد العربي بوصفه مجالاً لنقض الخطاب الاِستعماري

[1] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص8

عبر إنشاء نصوص مضادة، وهو ما يُظهر تمثيل الواقع بكافة تعقيداته وتداخلاته في الأدب بعد الإِستعمار، وقد اِستخدم النقاد العرب نظرية الخطاب مابعد الكولونيالية لفهم وتحليل هذا النوع من الخطابات، مما جعل النقد العربي يتناوله بمزيد من الإِهتمام والتفصيل، فهو يبحث في الأسس المعرفية والفلسفية لهذا الخطاب، ويدرس منهجيته وآلياته النقدية بهدف اِثراء المشهد النقدي العربي، فتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على الخطاب الكولونيالي واِستقباله في النقد العربي المعاصر، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية. حيث تسعى هذه الدراسة أيضًا إلى فهم كيف يتعاطى النقاد العرب مع مفاهيم مثل الاستشراق والنقد الماركسي والنقد النسوي وغيرها، وكيف يربطون بينها وبين قضايا مثل التمثيل الأدبي والعنصرية والهوية والمقاومة واللغة، بالتالي فإن أهمية هذه الدراسة تتجلى في قراءة الواقع النقدي العربي المعاصر وملاحظة تداخله مع الخطاب ما بعد الكولونيالي، مما يسهم في إثراء التفكير النقدي في المنطقة وفهم أعمق للتحديات والمسارات الثقافية والسياسية التي تؤثر عليه.

حظي خطاب مابعد الكولونيالية بإهتمام كبير من قبل الدراسات النقدية العربية المعاصرة وقد بدأت هذه الاهتمامات الأكاديمية بالتشكل منذ اِصدار كتاب "الإِستشراق" للمفكر إدوارد سعيد في عام 1978، الذي قدم تحليلاً نقدياً عميقاً لأساليب الإِستعمار الفكري وتأثيراته على المجتمعات المستعمَرة، حيث ساهمت أحداث عدة في ظهور وتطور الدراسات الثقافية وخطاب مابعد الكولونيالية، مما دفع بالنقاد العرب إلى اِنتباه لهذا المجال النقدي فقد بدأت هذه الإِهتمامات في النقد العربي منذ مطلع الثمانينيات، حيث اِنشغل العديد من النقاد العرب بتحليل وفهم هذا التيار النقدي بعمق، ومن بين هؤلاء النقاد العرب المهتمين بخطاب مابعد الكولونيالية: "جابر عصفور وحفناوي بعلي، ثائر ديب، عبد الله إبراهيم، فريال غزول وصبحي حديدي، ماري تريز عبد المسيح، خالد سليمان، عز الدين المناصرة، فخري صالح ونبيل راغب، وسعد البازعي، كما تميزت هذه الدراسات بتحليلها العميق والنقدي للتأثيرات الثقافية والسياسية للكولونيالية، وتطبيقاعلى الأدب

والثقافة العربية المعاصرة، وبفضل هذه الجهود الأكاديمية، شكلت هذه الدراسات إسهاماً مهماً في إثراء المشهد النقدي العربي وفهمه للتحولات الثقافية والسياسية الراهنة[1].

تبين الناقدة "ليلى غاندي" Ghandhi Laela" "في كتاها الهام "النظرية مابعد الكولونيالية: مقدم نقديه "Post Colonial Theory: A Critical Introdution 1998" بأن: «النظرية مابعد الكولونيالية احتلت ـ في العقد الأخيرـ مكانها بين النظريات عديدة على غرار البينياوية التحليل النفسي والسنوية كأهم وأسمى خطاب نقدي في الإنسانيات»[2].

إن خطاب مابعد الكولونيالية أصبح في نهاية المطاف آخر محطة فكرية شغلت الباحثين والنقاد ولاقت إقبالاً عظيماً وتهافتاً كبيراً على دراسة مواضيعها ذات الآفاق الواسعة « قد شغل المشهد النقدي العالمي منذ ثلاثة عقود، ومازال إلى الآن في طور التطور والتعديل والبحث، خاصة في الأوساط الأكاديمية الغربية، بالإضافة إلى مناطق أخرى في العالم تلقفت هذا الخطاب وآلياته وتحديدا المناطق التي خضعت سابقا للإستعمار، ومنها الهند وباكستان ودول أمريكا اللاتينية وإفريقيا...، ومن هنا ينبثق التساؤل الهام حول كيفية إستقبال النقد العربي المعاصر لهذا الخطاب، وقدرته على أن يكون رافدا من روافده المؤثرة بالإتكاء على عدد من المنطلقات لعل أهمها أن معظم المناطقة العربية خضعت للإستعمار لفترة طويلة، علاوة على أن الحضور الكولونيالي والاستيطاني مازال جاثما على أرضي فلسطين، ويمكن أن نضيف ما شهدته السنوات الأخيرة من عودة للاستعمار الجديد كما في العراق، بالإضافة إلى الهيمنة المستترة التي تمارسها القوى الغربية، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الاستعمار المخاتل، فالإمبريالية لم تنفك عن بعض المناطق في العالم كما يرى الخطاب الكولونيالية، علاوية على بعض الأفكار السياسية والثقافية والإجتماعية التي مازالت ماثلة على الأرض والفضاء الثقافي»[3]، وبهذه الطريقة يقوم الإستعمار

[1] ينظر: رامي أبو شهاب الرسيس والمخاتلة، ص9

[2] بوحيرش نادية: النظرية مابعد الكولونيالية في التلقي العربي، ص93

[3] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص126

ببثق أفكاره المسمومة على الصعيد الثقافي للهيمنة والسيطرة على الشعوب مجتمعات المحتلة سواء أكان ذلك فكريا أم سياسيا.

تعد عملية الاستقبال لخطاب مابعد الكولونيالي في النقد العربي ذات تشكيل يكاد أن يكون أشبه بمستويات ذات طابع أفقي ورأسي، فالأول غالبا ما يعني بالمقولات الكلية أو بالرموز الممثلة لأي نظرية نقدية، في حين يعني المستوى الرأسي بالمفصل والبنى العميقة، ومحاولة توضيفها أو حتى نقدها بهدف المساهمة في خلق رؤى جديدة تضيف إلى ما سبق، وهكذا فإن الاستقبال العربي وتحديدا الدرس النقدي اتسم بإنشغاله بحيثيات هذا الخطاب وتكوينه مستغرقا الجهد الأكبر من الجهود العربية، لا سيما في الفترة الأولى للاستقلال، فالنقاد والمثقفون استقبلوا الخطاب من خلال ظاهرة الرجل الذي كان له الدور الكبر في ظهوره فكثير من الكتب والدراسات والملفات الثقافية كانت تتخذ من شخصية إدوارد سعيد محورا لها في حين اتخذ موضوع خطاب مابعد الكولونيالية وضعا هامشيا أو ملحقا، بل أنه كان يتناول كان يصنف في المرتبة الثالثة، حيث قدم عله موضوع الاستشراق بتعدد مستويات معالجتها فإذا أجرينا بحثا حول عناوين الكتب التي تعالج هذه الثلاثة (سعيد والاستشراق والخطاب مابعد الكولونيالي) فسنجد أن الحكم الأكبر كان يتناول "ادوارد سعيد" ومن ثم الإستشراق أما الخطاب الكولونيالي فقد شكل النسبة من حيث الاصدارات أو الدراسات أو الملفات المتخصصة بشأنه، فعدد الكتب التي صدرت قليل جدا بالنسبه للكتب التي صدرت حول ظاهرة الاستشراق، ومع هذا فإن الاستقبال كان الخطاب مابعد الكولونيالي حاضرا ضمن مستويات الدراسه العربية ولكنه كان على هامش موضوعات الإِستشراق من الإِنطلاق أن الخطاب الكلونيالي كان منجزات "إدوارد سعيد" والإِستشراق ومركزه النظيري[1] .

يظهر إِستقبال خطاب مابعد الكولونيالية في النقد العربي بتشكيل مستويات ذات طابع أفقي ورأسي فالمستوى الأفقي يركز على المقولات الكلية والرموز النقدية العامة، في حين يركز المستوى الرأسي على التفاصيل والهياكل العميقة والتحليل المفصل الذي يهدف إلى توضيح وتقييم الخطاب

[1] المرجع نفسه، ص129

بشكل متعمق، وخلال الفترة الأولى للاستقلال، ركز النقاد والمثقفون العرب على دراسة خطاب مابعد الكولونيالية من خلال شخصية إدوارد سعيد كمركز لِانطلاق النقاش، ورغم أن الإِستشراق كان محورًا رئيسيًا في هذه الدراسات، إلا أن خطاب مابعد الكولونيالية كان يُعامل بشكل هامشي أو ملحق. كانت الأبحاث والدراسات تتركز على سعيد وظاهرة الاستشراق بشكل أساسي، بينما كانت الدراسات المتعلقة بخطاب مابعد الكولونيالية أقل بكثير، ومع ذلك فإن الإِستقبال لخطاب مابعد الكولونيالية كان موجودًا ضمن المستويات الدراسية العربية، ولكنه كان يعاني من الهامشية بالمقارنة مع موضوعات الإِستشراق. ورغم أن الإصدارات والدراسات التي تناولت خطاب مابعد الكولونيالية كانت قليلة، إلا أنها تعكس اهتماما متزايدًا بتلك النقطة من النقد العربي، وهي مستمرة في تطورها وتوسيع نطاقها في الفترة اللاحقة.

يبن لنا الناقد "رامي أبو شهاب" أن الدراسات مابعد الكولونيالية كانت حاضرة وموجودة في المشهد النقدي العربي منذ فترة مبكرة، وهذا يعكس تفاعل النقاد العرب مع ظاهرة الإِستعمار الحديث التي أثرت على الأمة العربية، من بين هؤلاء النقاد كان "محمد عبده" و"جمال الدين الأفغاني" و"أحمد فارس الشدياق" الذين اعتمدوا في كتاباتهم التنويرية على الدفاع عن الهوية العربية وكسر الارتباطات مع الاستعمار الغربي، لكن اللافت في هذه الدراسات هو التركيز على دراسة الآخر الغربي وموقعه القوي المسيطر، دون امتلاك وعي نقدي مابعد الكولونيالية الذي يهدف إلى تقويض دعائم الفكر الاستعماري وفك الارتباط عنه، وهذا التحول في النهج النقدي بات واضحا في كتابات المفكرين النقاد العرب المعاصرين مثل "إدوارد سعيد" و"هومي بابا" و"غاياتري سبيفاك" و"عبد الله العروي" و"حسن حنفي"، حيث أسهموا في إعادة صياغة الفهم والتحليل للواقع الثقافي والإِجتماعي العربي بمنظار مابعد الكولونيالية، وعند النظر إلى المنتج النقدي العربي المعاصر، نجد أن هناك تحولا ملحوظا نحو معالجة قضايا خطاب مابعد الكولونيالية، حيث بدأت الدراسات تركز على إعادة صياغة الهوية الثقافية والإِجتماعية العربية بعيدا عن النظرة الاستعمارية حيث: «شكلت مركز ثقل في التنظير النقدي العربي، فعكف النقاد العرب على دراسة

قضايا تقع في أُتون خطاب مابعد الكولونيالية وإن لم يردفوا لها فصولا تنطوي تحت عنوان "خطاب ما بعد الكولونيالية"، إذ لاحظنا أن هذا الخطاب يتقاطع بوضوح لاسيما عند التنظير والبحث في أفكار "إدوارد سعيد" وموضوع الاستشراق، مما يتطلب حذرا عند البحث في خطاب مابعد الكولونيالية، ولعل من أهم القضايا التي شكّلت عمق الخطاب، البحث في التمثيلات النصية التي أصدرها خطاب المستعمِر والتي كانت تستهدف الآخر، وغالبا ما يتم دراستها عبر التمظهرات النصية أو السردية للخطاب الأوروبي، مما تسبب بالاستغراق في البحث عن الآليات التي يمكن من خلالها اقتناء النصوص الغربية، وقراءتها قراءة أخرى أو حتى بوعي جديد للغة والأسلوب»[1]

من خلال التحليل السابق، يتضح لنا أن هناك العديد من الدراسات العربية التي استوعبت وتناولت خطاب ما بعد الكولونيالية في مستوياته المتعددة وجوانبه المختلفة. استراتيجية هذه الدراسات تركز على وضع الحقل المعرفي في مركز اهتمامها، حيث أصبح هذا الخطاب محورياً وتم تناوله من منظور منهجي. وبالتالي، فإنها تميزت عن التوجهات السابقة التي اعتبرت هذا الموضوع هامشياً أو متعلقاً بقضايا أخرى، توزعت هذه الدراسات على مجموعة متنوعة من الوسائل، بما في ذلك الكتب والدراسات التي صدرت ضمن ملفات في المجالات العربية والمقالات التي نُشرت في مجلات ودوريات وصحف عربية، بالإضافة إلى المشاركة في مؤتمرات علمية. ولاحظنا أن النقاد العرب الذين أنتجوا هذه الدراسات يتمتعون بمرجعيات أكاديمية قوية أو يكونون متخصصين في الشأن الثقافي والأدبي، بالإضافة إلى تواجد مترجمين يسهمون في تبادل الأفكار والمفاهيم بين الثقافات، ومن بين النقاد العرب البارزين الذين ساهموا في هذا المجال، يمكن ذكر كل من "خيري دومة"، "ميجان الرويلي"، "شهلا العجيلي"، "يحي بن الوليد"، "محسن جاسم الموسوي"، وغيرهم. إن هذه الدراسات تعكس التزامًا بالبحث والتحليل المستمرين في مواجهة التحديات الثقافية والفكرية التي يواجهها العالم العربي في عصر ما بعد الاستعمار[2].

[1] رامي أبو شهاب: الرسيس والخاتلة، ص135

[2] ينظر رامي أبو شهاب: الرسيس والخاتلة، ص196

بالرغم من أن هناك جمهرة من النقاد والدارسين اللذين إِنْبَلَجَتْ أسمائهم في الدراسات العربية قامت إستراتيجيتهم على وضع الخطاب مابعد الكولونيالي في مركز خطاباتهم، فهو أقرب إلى كونه بؤرة مركزية تم تناولها منهجيا فهم هنا قاموا بمفارقة تلك التوجهات التي رأت فيه موضوعا هامشيا أو متعرق بقضايا أخرى، محاولين إزالت بعض التعقيد والالتباس الذي كان يشكل هالة حوله، ليتمكن المتلقى العربي من فهمه وإستيعابه، حيث حاول هؤولاء الاحاطة «بالخطاب مابعد الكولونيالية ضمن منهجية وضعته في أولوية مقاربتها لا على هامش قضايا أخرى، ولهذا عنيت بمحاولة التعريف بالآداب الكولونيالية ومفهومها فضلا عن حدودها الجغرافية، وأنماط الكتابة ومراحل الكتابة الكولونيالية في المستعمرات ومن ثم محاولة الإحاطة بالنظرية النقدية، وحدودها في قراءة النص وآلياتها ومنهجيتها التي تبنتها في سبْر أغوار النصوص، إذ أخضعتها مرة ثانية للقراءة من منظور التجربة الكولونيالية ومتعلقاتها»[1].

وعليه وانطلاقا من هذا القول يتبين لنا بأن النقد العربي– وحسب رأي الناقد "محمد بوعزة" نقد ضعيف عاجز عن مسايرة الأوضاع النقدية الجديدة التي طرأت على الساحة الفكرية مؤخرا والمتمثلة في النقد الثقافي والنقد مابعد الكولونيالي، فالنقد العربي ظل في أغلبه أدبيا غير قادر على عبور دهاليز هذه النقود الجديدة واقتحام آفاقها العصيَّة التي لم يتمكن إلا البعض من ولوج عوالمها الخطرة ما عدا الناقد الفلسطيني "إدوارد سعيد"، وذلك من خلال كتابيه الرائدين في هذا المجال وهما: "الاستشراق "و"الثقافة" و"الإمبريالية". ولهذا لم يحظ خطاب مابعد الكولونيالية بقبول لائق وتخصيص واضح في المشهد النقدي العربي الذي لم يتمكن من تأسيس نظرية في النقد مابعد الكولونيالي على غرار ما حدث في الهند، وفي هذا المضمار يقرر الباحث "نايف الهنداس" في مقاله: "العرب والإمبريالية" بأن «القارئ العربي ربما يلاحظ ضعف الإنتاج الفكري الذي لا يتعدى الترجمات في مجال الإمبريالية ودراسات الكولونيالية ومابعد الكولونيالية عموما، فقليل هم الكتاب الذين اهتموا بهذا الموضوع ربما أذكر منهم: "إدوارد سعيد"، "مهدي عامل"، "سمير أمين"،

[1] المرجع نفسه، ص196- 170

"جورج قدم" و"برهان غليوم ..."وقد تم حصر أغلب هذه الدراسات القليلة أصلا في مجال الإمبريالية الثقافية والخصوصيات الثقافية ضد العولمة دون تأصيل منهجي ودراسة جادة لموضوع الاستعمار والإمبريالية في العالم العربي، والمفارقة أن العرب هم الأمة الوحيدة التي لازالت تعاني من الاستعمار في يومنا هذا، وهي من أكثر الأمم التي تتعرض للهيمنة الإمبريالية بسبب مواردها النفطية، وهذا الشح في الإنتاج الفكري يعود لتراجع الدراسات الثورية ودراسات الإمبريالية مع سقوط المعسكر الاشتراكي في بداية تسعينيات القرن المنصرم؛ على عكس الدراسات الكولونيالية في إفريقيا على سبيل المثال المستلهمة من دراسات "فرانز فانون" وغيره التي تنطلق من الاستعمار كأساس في تحليلها لبنية الأنظمة والاقتصادات المحلية. وبالتالي تأثيره على البنية الاجتماعية»[1].

يُظهر الناقد "محمد بوعزة" في رأيه أن النقد العربي يعاني من ضعف وعجز في مواجهة التحولات النقدية الجديدة، مثل النقد الثقافي والنقد ما بعد الكولونيالية. يشير إلى أن النقد العربي بقي في أغلبه محصوراً في الأدب، ولم يستطع التأقلم مع النقود الجديدة التي طرأت على الساحة الفكرية. يذكر بوعزة أن الناقد الفلسطيني "إدوارد سعيد" هو الشخص الوحيد الذي استطاع التميز في هذا المجال، من خلال كتبه الرائدة "الاستشراق" و"الثقافة" و"الإمبريالية"، حيث يؤكد الباحث "نايف الهنداس" على ضعف الإنتاج الفكري العربي في مجال الإمبريالية والدراسات الكولونيالية وما بعدها، حيث يلاحظ أن الترجمات تشكل الجزء الأكبر من الإنتاج الفكري في هذا المجال. ويذكر القليل من النقاد الذين اهتموا بهذا الموضوع، مثل "إدوارد سعيد" و"مهدي عامل" و"سمير أمين" و"جورج قدم" و"برهان غليوم"، وتلاحظ المفارقة في أن العرب، على الرغم من أنهم الأمة الوحيدة التي لا تزال تعاني من الاستعمار، إلا أنهم يعانون من شح في الإنتاج الفكري حول هذا الموضوع. يُعزى هذا الشح إلى تراجع الدراسات الثورية ودراسات الإمبريالية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي في بداية تسعينيات القرن الماضي. ويشير إلى أهمية الدراسات الكولونيالية في إفريقيا

[1] نادية بوحيرش: النظرية الكولونيالية في التلقي العربي، ص79

كمرجع، حيث تعتمد هذه الدراسات على تحليل الاستعمار كأساس لفهم بنية الأنظمة والاقتصادات المحلية وتأثيرها على البنية الاجتماعية.

يرى الناقد "أبو شهاب" أن من الأسباب التي جعلت «المقاربة العربية التنظيرية غير قادرة على أن تكون مؤثرة وفاعلة، ما يسكن العقلية العربية من لا وعي نقدي، يقوم على النظر للآداب على أنها تشكيل جمالي لغوي إنساني، لا يفترض به أن يتراجع مقابل علوم واتجاهات فكرية يمكن أن يقلل من تفرده كمنتج إبداعي، ولعل هذا ما يفسر احتفاء النقد العربي بالنقد الألسني، إذ وجد فيه امتدادا لفلسفة النقد العربي القديم القائم على القيم البلاغية واللغوية، في حين أن أي اتجاه نقدي آخر متداخل ومتشابك مع علوم إنسانية منها علم النفس، وعلم الاجتماع وعلم السياسة، وحتى الفلسفة الوجودية لم يلق استقبالا نوعيا»[1]

استنادًا إلى رأي الناقد "رامي أبو شهاب"، يتبين لنا أن السبب الرئيسي وراء ضعف التلقي والاستقبال العربي لخطاب مابعد الكولونيالية هو قلة الوعي النقدي العربي لهذا المجال المعرفي. يشير إلى أن النقد العربي اهتم بشكل كبير بالنقد الألسني، واعتبره امتدادًا لنقد العربي القديم القائم على البلاغة واللغة، مما أدى إلى نقص واضح في الاهتمام بأي اتجاه نقدي آخر يتداخل مع العلوم الإنسانية المختلفة، وهذا النقص ساهم في جعل التلقي العربي لخطاب مابعد الكولونيالية محتشمًا وفقيرًا نوعًا ما، حيث لم يتمكن النقاد العرب من التعامل بشكل كافٍ مع هذا الخطاب الهجين الذي يجمع بين مختلف الفروع المعرفية والعلوم الإنسانية، بالإضافة إلى ذلك يشير الناقد "رامي أبو شهاب" إلى وجود سبب آخر وراء هذا النقص وهو عدم تفرغ المؤسسات الثقافية العربية لدعم وتشجيع البحث والدراسات في مجال خطاب مابعد الكولونيالية، حيث يعزو هذا التحفظ إلى عدم استيعاب الثقافة العربية فكرة التغيير والتجديد في المجال الفكري، بهذه الطريقة يرى "أبو شهاب" أن قلة الوعي النقدي بالإضافة إلى نقص الدعم الثقافي، قد أدى إلى ضعف التلقي العربي لخطاب مابعد الكولونيالية وجعله يبقى في حدود محدودة دون تطويره بالشكل المناسب.

[1] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص206

وبعد عرضنا لجميع هذه الأفكار نستنتج في الأخير أن النقد مابعد الكولونيالي بالرغم من توجه أنظار النقاد والدارسين العرب إليه، غير أنهم لم يتمكنوا من اعتماد موقف نقدي موحد رافض للإستعمار ومندد بمخلفاته، وهذا بسبب تجربة الاستعمار القاسية التي عاشها الشعب العربي، حيث أنه يتويجب على المفكرين والنقاد العرب تطوير هذه النظرية والغوص أكثر في أعماقها لأنها تعكس تلك التجربة القاسية، وجميع القضايا التي عاشوها تحت وطئة الإستعمار وقره وهيمنته.

الخلاصة:

1. لقد مرت النظرية الكولونيالية في نشأتها بعدة مراحل ولعل من أبرنها نذكر:

أ. كتابات الاستشراقية التي قام بطرحها المستشرقون والتي رسمت العلم الثالث بوصفه إنسان جاهل بدائي لا يستطيع تسيير شؤونه بفرده.

ب. ولدت النظرية ما بعد الكولونيالية من تاريخ مختلط من إستجابات بريطانية وهندية إضافة إلى سلسلة من المفكرين المركسيين أمثال ديريدا؛ ميشال فوكو؛ كارل ماركس؛... وغيرهم.

2. ظهور مجموعة من النقاد والمفكرين الذين تجرعوا سم الاستعمار فناهضوه وتمردوا على أفكاره ومن بين هؤولاء: فرانز فانون؛ إدوارد سعيد؛ هومي بابا؛ غياتري سبيفيك؛... وغيرهم حيث بذلوا جهودا جسيمه لفظح الوجه الحقيقي للإستعمار ومحاولتهم لإسقاط أقنعته المتعددة التي يختبئ ورائها ومن بين هذه الأقنعة الأكثر دمارا وهيمنة على الشعوب نذكر الإمبريالية والاستشراق حيث دعى رواد الظرية والنقد مابعد الاستعمار إلى التشبث بالهوية الثقافية والوطنية والدعوة إلى علم الاستشراق من أجل التمكن من إيقاف الهجومات التي تشنها الدول الغربية للسيطرة والهيمن على الأفكار وثقافات شعوب العالم الثالث كما سمته.

3. قام النقد مابعد الكولونيالي على عدة مرتكزات ومن بينها دراسة ثنائية الشرق والغرب؛ العلاقة الأنا بالأخر؛ النقد الذاتي؛ الدفاع عن الهوية القومية؛ وغيرها من المرتكزات التي تطرقنا إليها في المبحث الثالث بالتفصيل.

4. لقد إعتبر النقاد والمفكرين العرب الخطاب مابعد الكولونيالي في بادئ كجزء تابع للدراسات الاستشراقية، وكأداة لفهم أفكار "إدوارد سعيد"، ولكن فيما بعد أصبحوا يولونها إهتماما بالغا وذلك بسبب أن معظم الدول العربية قد تعرضت لسطو الاستعمار، وبغية تفكيك وخلخلة الخطابات الكولونيالية والوقوف في وجه أفكار الخبيثة التي كان يحاول المستعمر دسها داخل أنساق تلك الخطابات، ولكن مع ذلك ظل فهم نظرية مابعد الإستعمار بشتى أصعدتها فهما ناقصا بالرغم من

المجهودات الجبارة التي قام بها النقاد العرب لإزالت بعض الإبهام عن تلك النظرية ودراساتها، ويعيد "رامي أبو شهاب" هذا العجز لعدة أسباب لعل من أبرزها:

يركز الناقد "رامي أبو شهاب" على الأسباب التي قد وقفت كحواجز أمام حضور خطاب ما بعد الكولونيالية بشكل فعّال ومؤثر في الأوساط النقدية العربية، مما أدى إلى ضعف حرارة استقباله نوعًا ما. يرى أبو شهاب أن هناك عدة عوامل تشكل عراقيل أمام هذا الحضور، ويمكن تلخيصها كما يلي:

أ. التقليدية الأدبية: تعود النقد العربي على تقليدية الأدب العربي القديم، مما يجعل الأمر الصعب على النقاد العرب أن يقوموا بتبني النقد الثقافي بشكل ومابعد الكولونيالية بشكل خاص.

ب. قصور المؤسسات الثقافية: قد يكون هناك قصور في المؤسسات الثقافية العربية في عم وتشجيع الدراسات والأبحاث في مجال خطاب مابعد الكولونيالية، مما يقلل من اهتمام النقاد بهذا الموضوع.

ج. التبعية الفكرية: قد تكون هناك تبعية فكرية للنقاد العرب اتجاه المفاهيم والأفكار الغربية، مما يؤثر على قدرتهم على استيعاب وتطبيق خطاب مابعد الكولونيالية في سياقهم الثقافي الخاص.

د. التحفظ الثقافي: قد يواجه النقاد العرب تحفظات ثقافية تجاه فكرة التجديد والتغيير، مما يجعل من الصعب عليهم اتخاذ المواقف الجريئة في هذا الصدد.

هـ. نقص الدعم الأكاديمي: قد يعاني الباحثون والنقاد العرب من نقص الدعم الأكاديمي والتمويل للأبحاث والدراسات في مجال الخطاب مابعد الكولونيالية، مما يقلل من إمكانية تطوير النقد في هذا الاتجاه.

بناءً على هذه العوامل، فإن استقبال خطاب مابعد الكولونيالية في النقد العربي قد تأثر بشكل سلبي، مما جعله غير قادر على مواكبة التحولات النقدية الجديدة بالشكل المطلوب.

الفصل الثاني:

الحفيدة الامريكية دراسة تطبيقية على ثنائية الأنا والآخر، الشرق والغرب، تشظي الهوية

تمهيد:

بعدما تطرقنا في الفصل الأول إلى مجموعه من المفاهيم التي تخص النظرية مابعد الكولونيالية ونقدها، المرتكزات والآليات التي قامت عليها، حيث كان هدفها الأول مقاربة الخطاب الكولونيالي في سبيل تحصين العقول ضد الأفكار المسمومة القابعة داخل ثنايا هذا الخطاب.

وفي هذا الفصل سنحاول تطبيق آليات النقد مابعد الكولونيالي على رواية "الحفيدة الأمريكية" للكاتبة العراقية "أنعام كجه جي"، ومن خلال هذا التحليل سنحاول اِستهداف الفترة الكولونيالية والوضاع التي عاشها الشعب العراقي أثناء فترة اسقاط نظام القائد صدام حسين على يد التحالف الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية، ومدى تأثير هذا الاستعمار على الهوية القومية لهذا الشعب وعلى العلاقات الاجتماعية والسياسية لهذا البلد بعد انتهاء هذا الغزو.

بعد تسليط الضوء على المفهوم العام لما سنقوم به في هذا الفصل يمكننا تحليل هذه الرواية من زاوية سيجري التركيز فيها على دراسة ثلاث من آليات النقد مابعد الكوليالي وهي:

1ـ دراسة ثناية الشرق والغرب.

2ـ دراسة ثناية الأنا والآخر.

3ـ تشظي الهوية.

تلخيص الرواية:

زينة فتاة عراقية هاجرت إلى أمريكا بعد أن واجهة عائلتها مجموعة من المشاكل السياسية بسبب أصول والدها الآشورية، تتكون عائلة زينه من والدها ووالدتها بتول وأخيها الأصغر يزن الذي غير اسمه إلى جايزن بعد حصول عائلته على الجنسية الأمريكية، لتنصهر هذه العائلة في المجتمع الأمريكي وتصبح جزء منه، تتحول من أسرة عراقية عربية إلى أسرة غربية مشبعة بالثقافة الأمريكية حتى النخاع، بعد اندلاع الحرب الأمريكية العراقية لعب القدر دوره مع زينه لتنظم كمترجمة عسكرية في صفوف الجيش الأمريكي معتبرة أن هذا العمل هو تلبية لنداء الوطن، حيث كانت ترى أن أمريكا ستكون الملاك المنقذ للعراق وشعبها، حيث أنها ستأخذ بيدهم لمواكبة قطار التقدم والرقي، وأنها ستساعد هذه الدول المعاقة حضاريا للخروج من عَّبَّشْ الاذلال الذي رآه الشعب العراقي من رئيسهم الطاغية والدكتاتوري صدام حسين، لتتصدم بواقع مرير مختلف تمام عما كانت تخطه في مخيلتها بداية من انطلاق رحلتها من المطار العسكري الأمريكي إلى غاية وصولها للمعسكر الجيش في العراق، حيث وصفت هذه الرحلة بالكابوس.

بعد فترة من وصول زينة للعراق طلبة الإذن لزيارة جدتها رحمة التي وصفتها بالعجوز العتيقة المتمسكة بأفكارها ومبادئها، المرأة الراقية التي مثلت الأصالة والوفاء اتجاه الوطن الأم في روايتنا. كانت العلاقة بين الجدة وحفيدتها علاقة وطيدة غير أن هذه العلاقة اهتزت بعض الشيء عندما ألقي في مسامع الجدة أن حفيدتها المدللة تعمل في صفوف الجيش الأمريكي لتتغير طريقة تعاملها معها، ولكن رغم قساوة رحمة على زينة غير أنها لم تترك يدها بل حاولت بشتى الطرق ارجاع غاليتها إلى مسلك الصواب ونزع تلك الأفكار الغربية التي ولجت في عقل حفيدتها.

فيما بعد تظهر شخصيات أخرى مثلت تغيرا محوري في تفكير بطلت روايتنا ومن تلك شخصيات شخصية حيدر ومهيمن الذي كان قائد في صفوف الجيش المهدي التابع للحركة التحررية العراقية والذي كان أول حب لزينة، والطاووس أم زينة بالرضاعة.

بالرغم من أن زينة كانت تعتبرهم كعائلتها ولكن رغم ذلك كانت تشعر بأنها شخص غريب عيلهم وخاصة مهيمن فتعامله معها كانت كمعاملة الخائن الذي يجب الحذر منه أو يتم قتله.

تستمر أحداث الرواية على هذا الحال إلى غاية أن يأتي اليوم الذي تمرض فيه الجدة لتنقل إلى الأردن للعلاج رفقة زينه ومهيمن، وفي هذه الفترة تتقرب زينه أكثر منه وتتعلق أكثر بأفكاره الوطنية والمشبعة بروح الثورية ليزداد تعلقها به أكثر، وهذا الأمر يزيد من ثوران الحرب النفسية التي كانت داخلها، عن ماهية كيانها فهي لم تعد تتقبل فكرة كونها أمريكية لأن كل ما رأته في العراق من معاناة وقهر وظلم وسفك دماء العراقيين من غير رحمة والأوضاع الإِقتصادية والإِجتماعية المزرية التي تجرعها الشعب العراقي حتى السكر كشفت لها المعدن الأصلي لأمريكا تلك الدولة التي لطالما كانت تفتخر بحملها لجنسيتها، وزوال ستار عن القناع مظلم الذي طالما كانت تغطي به أمريكا جرائمها تحت كذبة محاولتها لمساعدة هذا الشعب المستضعف لنيل حريته ولحفاظ على كرامته، وهي أيضا لا تنتمي إلى أصولها وبلدها العراق لأن كل أقاربها كانوا يتعاملون معها على أنها خائنة بغض النظر على أفكارها المشبعة بالثقافة الأمريكية.

في وسط هذه المعمعة النفسية والصراع الذي تعيشه زينه بيها وبين ذاتها، ليسقط عليها خبرة وفات جدتها التي كانت ملجأها الوحيد لكل ما تعيشه مثل الصاعقة، بعد إِنتهاء مراسم الدفن تعود زينة لأمريكا وبعدة فترة وجيزة ينقطع تواصلها مع مهيمن الذي كانت تعتبره الحبل الوحيد الذي يربط بينها وبين بلدها العراق هذا البلد الذي تعلمة حبه وتفاني له من جدتها الراحل رحمة، لتظل بطلتنا محبوسة في سجن الشجن والإِنفصام.

تتبعت الرواية ثلاث نقاط أساسي وهي:

- تحطيم الصورة النمطية التي رسمتها أمريكا للعراقيين.
- تقديم صورة مفصلة على الأوضاع الإِجتماعية التي عاشها العراقيون أثناء نضالهم ضد الولايات المتحدة الأمريكية.
- عرض صورة مفصلة على الآخر (أمريكا والعراق) وتأثيرها على ذات زينة.

المبحث الاول: دراسة ثنائيتين الشرق والغرب وثنائية الأنا والآخر:

1. مفهوم الثنائية Binarism: هي مشتقة من(ثنائيBinary) ويعني تأليف بين شيئين أو إثنين أو إزدواجيتين، وعرف هذا المصطلح ذيوعا في المجالات المعرفة المختلفة مما جعله يكتسي معان متنوعة كما هو الحال في الدراسات مابعد الكولونيالية، وكانت بداية ضهور هذا المصطلح على يد العالم اللغوي البنيوي "فرديناند ديسوسور" الذي قال بأن العلامات معاني ليس بالإشارة البسيطة للأشياء في الواقع وإنما بمقابلتها بعلامة أخرى، فكل علامة هي في ذاتها وظيفة داخل الثنائية بين الدال أي "الإشارة" أو الصوت أو الصورة التي تحيل إليها الكلمة أو المدلول، أي دلالة الإشارة أو المفهوم أو الصورة الذهنية التي تستدعيها. وقد ذهب "سوسور" إلى أنه بالرغم من أن الرابط بين الدال والمدلول رابط اعتباطيArbitrary (بمعنى أنه لا يوجد رابط في طبيعة يستوجب أن تقترن كلمة "كلب" المسمى بهذا الاسم) فإنه تأسيس هذا الرابط الغير منطقي فإنه يصبح ثابتا للجميع تلك اللغة[1].

1.1. ثنائية الشرق والغرب:

الشرق والغرب يعتبران من المصطلحات المثيرة للجدل والنقاش في الدراسات الأدبية والسياسية والتاريخية المعاصرة، حيث يتغير مفهوم هذين المصطلحين من عصر إلى آخر تحددها تأثيرات فلكية وجيوسياسية وثقافية وعرقية واستعمارية، وأن مفهوم هذين المصطلحين يختلفان حتى من ناقد لأخر فأحمد أمين مثلا يحدد الشرق والغرب بخصاص فالغرب يختص بالتقدم الميكانيكي والحركات الصناعية والدمقراطية، وتلون أدبه وفنه بلون خاص لون عملي أكثر منه نظريا، وتقدير النساء ومنحهن كثيرا من الحرية، والشرق يتصف بالتواكل والخضوع للاستبداد، والتقليل من حرية النساء، وكثرت الاعتقاد بالخرافات ونحو ذلك، وحينئذ إذا جرينا على هذا لم يعد للحدود قيمة، فقد تحكم على اليابانيين بانهم تغربوا، أي اتصفوا بالصفات الغربية كما تحكم على بعض الأربيين

[1] بيل شكروفت: دراسات مابعد الكولونيالية مفاهيم رئيسية، ص75

بأنهم تشرقوا أي اِتصفوا بصفات الشرقية، وعلى هذا تكون الشرقية والغربية صفات لا حدود جغرافية[1].

نلاحظ أن أحمد أمين هنا قد كان مفهومه لهذين المصطلحين مبنيا على نظرة استشراقية بحته، فقد نسب كل الصفات الدونية وسلبي إلى المشرق ونسب كل ما هو متقدم واجابي إلى الغرب.

وقد قام نجيب محفوظ بالتميز بين الشرق والغرب بالِاعتماد على الجانب المادي والجانب الروحي، حيث يرى أن نظرة الشرق إلى الوجود نظرة فنان، في حين نظرة الغرب إلى الوجود نظرة العالم، حتى لتستطيع أن تعد الشرق معرضا كبيرا من معارض الفن، وأن تعد الغرب معلما كبيرا من معالم العلم... فما من شك في أن للشرق لونا ثقافيا واحدا تتحدد فيه أقطاره جميعا وهو الروحانية التي تظهر في أرضه دينا وفنا[2].

نلاحظ أن نجيب محفوظ استخدم اسلوبا بارعا في التمييز بين الشرق والغرب، عبر تركيزه على الجانب النفسي والروحي للشرق، مقابل الجانب العقلاني والعلمي للغرب، هذا التباين الثقافي يميز بين الشرق والغرب بأنماطهما المختلفة في تفكير وأسلوب الحياة، وبهذا عزز فهمنا للتنوع الثقافي العالمي.

من خلال هذا التقسيم المتخيل نتج لنا قطبين متناقضين ومتصارعين على السيادة، تمثل ذلك الصراع بين الفرس والروم في بادئ الأمر ثم الصراع بين المسلمين والروم ثم تلتها الحروب الصليبية ومن بعدها قام الصراع بين العثمانيين والأربيين بين مد وجز، ثم آخر فصول هذه الملحة الصراع بين الشرق المتمثل في آسيا وإفريقيا وبين الغرب المتمثل في أوروبا وأمريكا وهي صلات متنوعة بعضها ثقافي وبعظها اقتصادي وبعظها سياسي[3].

---

[1] جمال مباركي: الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث في الأدب العربي الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر –باتنة– الجزائر، السنة الجامعية 2008/2009، ص13

[2] جمال ميباركي: الغرب في العربية الحديثة، ص13الرواية

[3] المرجع نفسه، ص17

وبسبب هذه الصراعات القائمة بين القطبين ومحاولة الغرب فرض سيطرته وهيمنته على الشرق بطرق وأساليب مختلفة، ومحولاته الدائمة لزرع أفكاره في خطاباته الكولونيالية فجاءت ثلة من المفكرين والنقاد المشارقة لإيقاف هذا التوسع وردع تغلغل الفكر الغربي محولين بذلك تغيير آراء الغرب المتحيزة والدونية للإنسان الشرقي وقاموا بعكس هذه الثنائية المتضادة في أعمالهم الفنية والأدبية.

في روايتنا هذه قامت الكاتبة العراقية "إنعام كجه جي" كغيرها من أدباء الكولونيالية بعكس هذه الثنائية في روايتها الموسومة ب "الحفيدة الأمريكية" حيث جسدتها في قالب محسوس صوب المتلقي على مسرح التاريخ محاولة بذلك تعرية ما هو مسكوت عنه في خطابات الكولنيالية الغربية.

كما نعلم أن الغرب عندما يريد احتلال دولة ما فإنه يقوم بوضع أعذار واهمة لتغطية يديه الملطخة بدماء الأبرياء وهذا تماما ما فعلته الولايات الأمريكية المتحدة عندما بدأت بوضع إستراتيجياتها للسيطرة على العراق، حيث اِتخذت من هجومات11 سبتمبرو2001 واصفة إياها الهجومات إرهابية استهدفت أمنها، ولقد ذكرت الكاتبة هذا التاريخ لتنطلق منه لسرد حكاية بطلتها، لأن هذا اليوم لم يكن نقطت تحول في تاريخ العراق فقط بل شكل نقطة تحول كبرى بين العالمين الشرقي والغربي، والذي زاد من التوتر بينهما، حيث اتهمت الغرب المشارقة بالإرهاب وأن يتحملوا مسؤولية جرائمهم اللاإنسانية، وبهذا أصبحوا يهاجمون الدول الشرقية وخاصة العربية منها بهذه التهمة المهددة لسلام العالم.

لقد قامت الكاتبة "إنعام كجه جي" بوصف أحداث هذه الهجومات على لسان بطلة روايتها "زينه": «لكن ما وقع في الحادي عشر من سبتمبر أصابني بمس كهربائي سرت حرارته في جسم كل من أعرف من أصدقاء والجيران، تحولنا إلى كائنات تهتز وتنتفض وتطلق أصوات اِستنكار

وهلع، تشبك أيديها فوق رؤوسها أو تضعها فوق أفواهها (أوه ماي غاد... أو ماي غاد!) نرددها دون توقف وكأننا نسينا اللغة وتبقيت لدينا هذه الكلمات الثلاثة فحسب»[1].

اِتهمت الولايات الأمريكية المتحدة تنظيم القاعدة باختطاف أربع طائرات نقل مدني تجارية واستخدمت كصواريخ لضرب أهداف معينة، حيث ضربت طائرتين برجي التجارة العالمي في نيويورك مما أدى إلى انهيارهما، والطائرة الثانية اِستدمت بالبانتوغون في واشنطن أما الطائرة آخر طائر فقد استطاع ركابها السيطرة عليها وسقطت في حقل ولاية بالسلفانيا، وقد أصفر عن هذه الهجومات مقتل ما يقارب3000 شخص واصابة ألاف[2].

لقد ظلت هذه الحادثة راسخة في ذهن كل مواطن أمريكي ومن بينهم زينة حيث وصفت لنا الذعر الذي سكنها ذلك اليوم قائلة: «في ذلك اليوم مضيت مباشرة من سريري إلى التلفزيون وتناولت الريموت وأنا واقفة لا أدري أي دافع صرفني عن دورتي التقليدية في البيت أو لعل أحدهم عبث في ببرنامج الإعدادات في الليلة السابقة(...) رؤية طائرة تصطدم في البرج وكان هناك برج مجاور يحترق جمت مكاني ولم أجلس كنت أعرف جيدا هذين المبنيين، أعرف نيويورك كل أمريكي يعرف نيويورك حتى ولم يزرها، لقد زرتهما ووقفت أمام برجهما وأكلة لقمة على الشرفة المؤيدة إلى أحدهما، كان هناك إيراني يبيع شاورما على عربة متنقلة تحت مركز التجارة الدولي(...) لم أكن أستوعب ما أراه حينها نعم لقد رأيت أمريكا تحترق أمامي وشممت رائحة الشواط، اِسم الفيلم لابد أن يكون (برج الجحيم) نسخة واقعية»[3].

لقد اصفرت على هذه الهجومات عدة نقاط أهمها:

ـ حرب أفغانستان في أكتوبر 2001، والهدف منها القضاء على نظام طلبان وملاحقة قاعدته حيث استمرت هذه الحرب لسنوات عديدة.

---

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، دار الجديد، ط3، 2010، ص19

[2] بارك جاكسون: هجومات 11سبتمبر ولماذا حدث في ذلك اليوم ؟، موقع BBC NEWS، حرر يوم 12، https://www.bbc.com/arabic/world-58179102?fbclidP، أطلع عليه: 2024/05/12، على ساعة 10:04

[3] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص20

ـ حرب العراق: لقد أعلنت الولايات الامريكية المتحدة الحرب على العراق في 2003، بحجة اِمتلاكها أسلحة الدمار الشامل، ودعمها لنظام القاعدة الخاص بطلبان إضافة إلى اِستغلال موقعها الاستراتيجي لغرس الأنظمة الإرهابية المتطرفة.

ـ إنشاء الولايات الأمريكية المتحدد نظام أمني جديد لضمان أمنها الداخلي في 2002 من أجل التصدي لإرهاب.

بحجة الإرهاب بدأت أمريكا التوسع وفرض هيمنتها على باقي الدول واهمة العالم بضرورة إعادة الأمن من خلال السيطرة على الدول التي تحتضن الإرهاب والجماعات المتطرفة.[1]

بحسب وصف "زينة" بطلت رواية أنه بعد أسبوع واحد من هذه الحادثة بدأت بالتجهيز عتادها لخوض حرب ضدّ العراق حيث قالت: «وبعد أسبوع من الحادثة أعلنت (F.B.A) عن حاجتها إلى مترجمين عرب، وعنونوا جميع المواقع على النيت من أجل تقديم الطلبات لقد قرأت الإعلان وشعرت بمزيج من الهشاشة والحماسة ماذا في إمكاني أن أقدم لبلدي في محنته هذه؟»[2].

لقد كانت الحرب على العراق حرب دامية لم ينجو منها لا الصغير ولا الكبير ولكن رغم ذلك ظلت أمريكا تزيف حقيقتها أمام العالم عامة ورعاياها خاصة عبر وسائل الإعلام وكانت تشجعهم لدعم وطنهم «لقد أصبحنا عباد شاشة التلفزيون الذي لا يتوقف عن شحننا بالانفعالات، إن شاشته تخضنا بالأدرينالين، وهي تعرض لنا مشاهد انتصارات جيشنا البطل وهو يقاتل بالمدافع والقنابل المدوية ورجال جيش العدو يركض هاربا من الموت ...»[3].

نلاحظ أن أسلوب الاستعمار الحديث لم يختلف كثيرا عن أسلوب الاستعمار القديم من ناحية تزييفه للوقائع لإخفاء قناعه الدامي وجرائمه الشنيعة وظّل على طريقته هذه إلى يومنا هذا، ومن أجل هذا قامت "أنعام كجه جي" اسقاط الستار على الحقيقة الموحشة لدولة أمريكا العظمى وتسليط الضوء على كل صغيرة وكبيرة حدثت أثناء تلك الحرب وبكل شفافية وذلك عبر الأحداث

[1] باتريك جاكسون: هجومات 11سبتمبر 2001 وماذا حدث في ذلك اليوم!، أطلع عليه 2024/05/12، على ساعة 11:49

[2] إنعام كجه جي: الحفيدة الامريكية، ص20

[3] المرجع نفسه، ص24

التي عاشتها بطلة روايتها زينة حيث أنها فضحت أمر الإحتلال حيث أنه قد قام بالسيطرة على عدة قصور لصدام حسين ونهب كل ما هو موجود بداخلها ثم حولها لمقرات عسكرية: «وصلنا إلى وجهتنا ورؤية قصرا مهجورا، مقصوفا محطما تناثرت حجراته في صالاته مثل الأشباح المبرمجة على الدهشة، وإنتهينا إلى صالة تشرف على بحيرة صناعية قيل لنا أن صدام حسين كان يصطاد السمك في مياهها والحديقة التي كانت من المفترض أن تكون جنة أرضية تحولت إلى مستنقع للبعوض ودغ الحشائش يرتفع إلى أعلى من قامتي، إنها قيامة مرت من هنا، أجل (...) هذا القصر المحطم أصبح مقرنا»[1]، إن هذا الأمر كان مجرد بداية الصعقات التي ستقع على رأس زينة بعد فتره من وصولها إلى المعسكر يأتيها خبر سقوط مدينة تكريت، أو ما كان يسميها عراقيون مدينة صدام حسين، هذه المدينة التي تحمل في كل ربوعها تاريخ وثقافة العراق، بعد أن سيطر الجيش الأمريكي على كتريك بدأ زحفه نحو بغداد، وبعد سقوط العاصم بغداد تعرضت العراق لأضرار كبيرة على صعيد البنية التحتية والاقتصادية حيث شهد عملية نهب وسرق للثروات على يد الجيش الأمريكي وحلفائه[2].

زينه: «رأيت ونحن نعبر جانبا من بغداد حطاما لم أرى مثله من قبل، بلي(...) إن هذه المباني المحترقة المتداعية التي تصف فيها الريح تشبه الرماد الذي هطل على نيويورك بعد ذلك الحادي عشر الأليم من سبتمبر، ألم يقابل ألم وخراب يقود إلى الخراب، هذا ما كنت أتصوره وأنا في تلك المرحلة المبكرة من سذاجتي»[3].

لقد جاء للبطلة لحظا إدراك أن تاريخ حادي من سبتمبر الذي دمر بعض الأماكن في أمريكا ومخلفا بعض الأضرار المادية والبشرية قد بدأ الشعب العراقي بدفع ثمنه بالتقسيط.

---

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الامريكية، ص46

[2] طه العناني: ذكرى سقوط بغداد... بعد 19 عاما على غزو الأمريكي ماذا سيتذكر العراقيين، موقع الجزيرة، https://www.aljazeera.net/news/2022/4/9، حرر 2022/04/09، 11:57، أطلع عليه 2024/05/12، على س 21:30

[3] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص48

كانت زينة تصف المداهمات الليلية التي يشنها الجيش الأمريكي على منازل المدنيين كلما تأتيهم أخبار عن اختباء المقاومة في أماكن معينة أو عن وجود أنفاق للمقومة «لقد كنا نرتاح في النهار ونداهم في الليل عندما تنام المدينة وتهدأ الهواجس والوساوس خرجت في طلعتي الليلية الأولى بعد وصولي إلى تكريت بعشرة أيام، طلبوني لمرافقة المجموعة التي داهمت البيت الذي قيل لنا أن الدوري (المقاومة) يختبئ فيه، لم نعثر عليه هناك، وجدنا نفق تحت الأرض يقود إلى عربة من النوع الذي يربط بمؤخرة الشاحنات، كنا دائما نصل بعد أن يتركوا المكان، نسخة من فيلم الهرب من إنتاج عراقي»[1].

كانت الجيوش الأمريكية الموجودة في العراق تزيف المعلومات الإِستخبارية وتفبرك التقارير التي ترسلها لل (S.A.I) والتغطية على الصراعات التي تنشب بين قادة الجيش: «كنت أعرف ما في الورق، أتربع على سريري كل مساء وأضع اللابتوب في حضني وأرحل في القارات، أسمع معلومات إِستخبارية خاطئة وتقارير مفبركة إِستقالات بين مساعدي الرئيس زلات لسانه، أكاذيبه، نزاعات بين الخارجية S.A.I، حركات إِحتجاجية تحدث داخل أمريكا بسبب الأكاذيب التي تنشرها وسائل الإعلام(...) أقرأ في المواقع وأرى بعيني ما لا يمكن للشاشة أن تراه، أتفرج على أكفان الشحن ونيران صديقة، القاعدة، زرقاوي، سرقات، نهب مبرمج، أحزاب طائفية، هجرات، صحفيون يفتلون، علماء يقتلون، أساتذة جامعات... نساء...»[2].

مع كل هذه الأوضاع التي كشفتها زينة من كذب وخداع، نهب من طرف جيش الإِحتلال الأمريكي غير أن شخصيتها الغربية كانت أكثر تأثيرا على أصولها الشرقية العراقية فلقد ظلت تدافع على جيش وطنها أمريكي وحكومته بداخلها «لقد جئنا لنقوم بعمل عظيم، وهم أفسدوا كل شيء، لقد تقيأتم على سلة الورد التي قدمناها لكم، ليس عندي كلام آخر، الدم الذي حفر خنادق

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الامريكية، ص101

[2] المرجع نفسه، ص102

بيننا، جعلني أقول (نحن وأنتم)، ليس في قدرتي سوى أن أكون أمريكية. عراقيتي تخلت عني، سقطت من جيبي، وتدحرجت بعيدا مثل فلس منقرض»[1].

من خلال كلام زينة نلاحظ مدى تأثيرها بهويتها الغربية وإمانها الكبير بالوعد الذي أعطته أمريكا للشعب العراقي بأنه سيتخلص من هذا النظام الديكتاتوري وأنه سيشم عبق الحرية في ابها حلتها.

إستحضرت الكاتبة بعض تواريخ مهمة جدا لكل عراقي كتاريخ كانون الثاني وهو تاريخ إحتفال العراقيين بيوم الجيش؛ ثورة 58 وتسمى أيضا إنقلاب تموز 1958 وهو الإنقلاب الذي أطاح بالملك فيصل الأول تحت الرعاية البريطانية وقتل على إثرها جميع أفراد العائلة الحاكمة.

لقد استحضرت الكاتبة هذه الأحداث كي تثبت بأن عراق لديها تاريخ طويل مع الكفاح ضد الإستبداد، وأن العراقيين يرفضون أن يكون تحت سطرت أي دولة غربية وأن هذا التاريخ العريق لدولتهم يزيدهم فخرا بإنتمائهم.

2.1. ثنائية الأنا والآخر: إن إشكاليات الشخص المتعدد الأبعاد بين الشخص الإجتماعي والتاريخي، لذلك فكل شخص ذات واعية حرة مسؤولة، الشخص كائن قائم بذاته ولكنه كتفكير فهو ليس معزول عن الآخر أو بالأحرى لا يمكن إقرار به وبكيانه إلى مع الآخرين حتى تتحقق الغايات والمشاعر والمواقف المشتركة والعمان المختلفة كالحزن والفرح والعداوة...

فهذه المعان لا تأكد معانيها إلا داخل الإرتباط الكياني بالآخر والغير فكل تلك المقومات لا يصبح لها معني ولا تؤدي وضيفتها إلا بجود هؤلاء الغير الذين ينتمون إلى العالم الإنساني ويحققون وجوده هذا المفهوم العام الذي يأخذ أبعاده داخل هذا الكيان المتكامل الذي يعكس تلك العلاقة بيني وبين غيري[2].

لقد ركزت النظرية مابعد الكولونيالية على هذه العلاقة وعلى مدى تأثير الآخر "المستعمِر" على تشكيل كيان ذات "المستعمَر"، فالآخر في هذه النظرية «يشير في عمومه إلى أي الشخص مميز

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الامريكية، ص189

[2] حلون جيلالي: علاقة الأنا بالآخر في فلسفة جون بول سارتر، مخبر الفينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 09، 2018، ص22

عن الذات، ووجود الآخرين ضروري لتعريف ما هو "عادي" وتحديد موقع المرء من العالم وتوصف الذات المستعمَر ب "الآخر" من خلال الخطابات مثل البداية وآكلي لحوم البشر كوسيلة لترسيخ الفصل الثنائي ما بين المستعمِر والمستعمَر، وتأكيد طبيعة وأولوية الثقافة الإستعمارية والرؤية الكلية للعالم»[1].

تظهر ذات المستعمَر في سياق الآخر ذات متجاوزة ومهيمنة، حيث يعكس مصطلح الذات البداية وآكلي لحوم البشر سعى المستعمِر لترسيخ الفصل الثنائي بينه وبين المستعمَر إذ يعكس القدرة على إستغلال وتحطيم الهوية، فعبر هذه الخطابات والممارسات يتم تأثير تبرير إستمرارية الإستعمار وتعزيزه حيث يظهر المستعمِر أن ثقافته وقيمته هي التي إعتمدها وإحترامها بينما يعتبر الآخر المستعمَر كائن غير متطور لاحق له في المساوات ولا المطالبة بحقوق الإنسان هذه الرؤية الكلية للعالم، المستندة إلى الفصل بين الثنائي بين القوة والضعف، تبرر طبيعة السطوة والتحكم التي يمارسها المستعمِر، مما يؤكد على طابعه الإستعماري ورغبته في إرساء هيمنته وتأكيد هويته كأولية ثقافية على حساب ثقافة المستعمَر.

على الرغم من فرط إستخدام هذا المصطلح في الفلسفة الوجودية لاسيما عند "سارتر" في كتابه "الوجود والعدم" لتعريف العلاقة بين الذات والآخر لأجل خلق الوعي وعي ذاتي وأفكاره الخاصة بالهوية فإن تعريفه كما يستخدم في النظرية مابعد الكولونيالية الحالية يرجع جذوره إلى تحليل فرويدي إلى ما بعد الفرويدي لتشكيل الذاتية، وأبرز تلك الإستخدامات تجلت في الأعمال المحلل النفسي والمنظر الثقافي "جاك لاكان"، حيث ينطوي إستخدام "لاكان" لهذا المصطلح على التمييز بين الآخر بالحدّ الأكبر والآخر الحدّ الأصغر، مما يمكن أن يؤدي إلى شيء من الخلط داخل الهو–الذي يمثل الجانب اللاشعوري في شخصية الفرد – أن هذا التميز أن يكون عظيم الفائدة بالنسبة للنظرة ما بعد الكولونيالية [2].

[1] بيل شكروفت: دراسات مابعد الكولونيالية مفاهيم رئيسية، ص226

[2] المرجع نفسه، ص263

لقد تجلت هذه الثنائية بشكل واضح في روايتنا حيث بينت لنا الكاتبة مدى التأثير الكبير الذي يُطْرِئُهُ الآخر على ذات الفرد وذلك من خلال عدة نقاط نذكر منها:

1.2 الأنا وانسجامها مع الآخر:

منذ الأزل قامت علاقات الإنسان على التعاون والتآزر بين الأفراد، فلا يمكن للإنسان أن يلبي اِحتياجاته بمعزل على الآخرين، إذ تربطهم علاقة تلاحمية تكاملية، لأن الوجود الإنساني وكيانه لا يكتمل إلى بتفاعل الأنا مع الآخر.

إن الرواية في البداية عالجت قضية اِجتماعية مهمة وهي "الهجرة" لأن هناك الكثير من الناس يهاجرون إلى الدول الغربية لعدة أسباب على نحو تحسين حياتهم المعيشية أو من أجل طلب العلم أو من أجل اللجوء السياسي وهذا ما حدث مع بطلت الرواية، فقد هاجرت عائلتها من العراق إلى الولايات الأمريكية المتحدة طلبا للجوء السياسي بسبب أصول والدها الإشواري لأنه كان من العائلات التي تنتمي إلى نظام الحكم الملكي السابق في العراق وهذا ما أشارت إليه البطلة لقولها «كنت أريد أن أتباها أمامهم أنني سليلة منطقتهم أتكلم لغتهم وأنني سليلة العقيد الركن يوسف الساعور الذي كان في أربعينيات القرن الماضي مساعد لمدير التجنيد في الموصل»[1].

بعد الهجرة تمكنت زينة من الاِنسجام مع المجتمع الأمريكي خاصة أنها نشأت وترعرعت تحت جناحيه فقد كانت تعتبر نفسها أمريكية حتى النخاع وأن أمريكا هي وطنها الأم، وبعد انضمامها إلى الجيش كانت تعامل على أنها كريستال نادر بسبب أصولها العراقية وبسبب اِتقانها للهجت العراقيين، حيث كانت هي الآمر و الناهي فقد كانت تشرح للعمال العربيين الذين يعملون لدى الجيش الأمريكي كيفية تسيير العمل داخل المعسكر، كما كان أصدقائها يستشيرونها في أمورهم الشخصية «لقد كان فرانكي يطلب مني بِاعتباري أفهم عقلية النساء هنا، أن أختبها وأسرح بها في

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص15

الكلام لأعرف هل تحبه فعلا أم تمثل عليه دورا، لم يضايقني أن أكون مستشارة لأمور الحرب والسينما، أتمتع بفيلم من نوع "جيوليت في تكريت"»[1].

أما من عائلة زينه العراقية فبرغم من أنها كانت تعيش في أمريكا منذ لفترة كبيرة غير أنها كانت قريبة جدا منهم واِستطاعت أن تنخرط بهم، وشكلت علاقة ووطيدة بين أمها بالرضاعة الطووس وأخاها حيدر فلم يكن يمانع من أن تكون له أخت أمريكية وتعمل كمترجمة في جيش العدو فهاذا في أخير مجرد عمل تعسى به لجلب رزقها مثلها مثل أي شخص آخر واِعتبر وجودها كالهدية التي أنزلها الله له من السماء في زمن أصبح شحيحا من الهدايا« إن زينة لم تكن خائنة في نظر حيدر، البنت تشتغل في الترجمة ولا تفهم في السياسة شيء، كان مسرورا بهذه الأخت التي هبطت عليه مثل الهدية الثمينة في زمن شحيح بالهدايا(...) كم كان سعيدا حين أثنت على معلوماته الموسيقية لم تتصور أن هذا المكان الذي يقيم فيه يوجد من يعرف جانيت جاكسون وباقي أفراد العائلة الكريمة»[2]، كما أنه كان شديد الخوف عليها من اِنكشاف حقيقة عملها أمام باقي العائلة وخاصة أمام أخيه مهيمن ذي تغيرت طباعه بعد أن تم إطلاق سراحه من سجن إيران «كيف ستأتي بها إلى هنا؟ هل جننت؟ سيفرمون لحمها ويشوينها على مناقل الفحم ويأكلونها تازة، في المساء ستذيع الجزير بنبأ عاجل عن مقتل جندية أمريكية في ضواحي بغداد، (...) إنه لا يأمن لأحد حتى لأخيه مهيمن الذي عاد من الأسر شخصا أخر»[3].

أما أمها الطاووس فقد كانت تسعى دائم لتخفف الاصطدام الواقع بينها وبين أخيها مهيمن وجدتها رحمة بسبب طبيعة عملها، كما كانت سعادتها كبيرة عندما رأتها لأول مرة تقف أماما بعد سنوات طويلة من الغياب «كانت الطاووس لا تشبع من عناقي وتقبلني تقول إن لها حصة في»[4].

---

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص98

[2] المرجع نفسه، ص77

[3] المرجع نفسه، ص78

[4] المرجع نفس، ص88

بالرغم من أن الجدة كانت معارضه لأفكار حفيدتها الغربية وطبيعة عملها غير أنها كانت تحب حفيدتها وقريبة منها، وكانت تبذل كل جهدها من أجل إعاجة تصويب أفكار حفيدتها زينا إلى الصراط وذلك من خلال سرد قصص عن بطولات جدها يوسف الساعور عندما كان قائد في الجيش أثناء حرب إيران والكويت أو عن طريق تذكيرها بأيام طفولتها عندما كانت في الموصل «أضع رأسي على حجرها وأتركها تلقي علي دروسها المضخة برائحة العراق تحفر في ذاكرتها لكي تعثر على كل الأمثلة ووسائل الإيضاح، تقول لي أن تاريخ عائلتي ماثل هنا بصمة دمي وعظام أجدادي، وأنا أشرب حكاياتها ولا أرتوي هناك حلقة مفقودة ليس من واجب جدتي البحث عليها بل هو دوري (...) أحالوا جدك إلى التقاعد، بالرغم أنه لم يكن معارضا ولا من المتآمرين، لكن محاولة الإنقلاب قامت في الموصل فأعدموا القائمين بها وأبعدوا الضباط القوميين، كيف يكون جدي قوميا وهو مسيحي كلداني، ولما لا يا بنتي وهل تمنع الأديان حب الوطن؟»[1].

لقد كانت الجدة من خلال سردها للأحداث التي تعرض إليها زوجها في الجيش أن توصل أفكار معينه لزينة وعندما كانت تعارضها كانت الجدة تصب جل غضبها عليها وتتحول المعاملة معها من كونها زينة حفيدة رحمة إلى زينب العميلة للعدو الأمريكي، وبالرغم من تقلبات مزاج رحمة مع حفيدتها كانت زينه لم تكن تمانع ولا تعترض على غضب جدتها التي كانت تواجهه بسبب أفكارها المشبعة بالروح الغربية بل كانت تحاول امتصاص كل سخط جدتها بل كانت تحول مصار كلام جدتها إلى مصار آخر تمام وبذلك يختفي غضبها منها في ثواني.

أثبتت لنا الكاتبة من خلال هذا أنه ليس من الضروري أن يكون الآخر مطابقا للانا في أفكاره أو إنتمائه أو دينه، بل يكفي أن تكون الأنا متفهمة للآخر من ناحية أسلوب تفكيره أو ثقافته التي يعكسها محيطه الخارجي.

[1]أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص90

2.2. الآخر وسلطنه على الأنا:

تظهر نصوص الرواية أشياءً ألزمها الآخر (رحمة وميمن) على الأنا عن طريق مجموعة من الآليات التي ساهمت في تفكيك شخصية الأنا(زينة) وهويتها الأمريكية حيث تمثل مركز الرواية، والتي قدمت الإستعمار الأمريكي على انه مخلص الشعب العراقي من الدكتاتورية التي يعيشها على يد نظام الحكم، وهذه هي نفس الفكرة التي كانت تحملها بطلة الرواية كونها جالية أمريكية. هذه الصورة المخيلة التي أبانتها أمريكا لتغطية حقيقتها الدموية القاتلة ولتظهر نفسها بصورة الرجل الأبيض الذي يرتدي ثوب الملاك لا تظهر عليه أي علامات للوحشية، ذاهبا إلى العراق حامل معه لواء السلام ورسالة إنسانية نبيلة سافرها والقاتلة في جوفها، ولطالما أعتبرت الولايات الأمريكية المتحدة بأنها أكثر الدول المناهضة للعنصرية والدكتاتورية والملاك الصائن لحقوق الإنسان هذه الوحلة المزخرفة التي خطتها جعلت أي شخص يفتخر بِانتمائه لمثل هذا الحر والديمقراطي، وهذا الأمر ينطبق على زينة إلى غاية أن وجدت نفسها في قبضة الآخر (العراقي) مما تولد عنه تشتت وخلخلة وتفكك بنية الأنا.

إذا تتبعنا الرواية مابعد الاكولونيالية بصفة عامة، نجد أن الآخر يسعى دائما ليكشف لنا الفكر الإستعماري والإجرامي والتبشيري مما ينتج لنا فكر جديد ومختلف تمام عن الفكر القديم الذي كان يحمله الأنا، فزينة ذهبت إلى العراق بالفكر الذي نقشته في عقلها وسائل الإعلام الأمريكي لتكتشف أن الحقيقة مختلفة تماما عما كانت تتصورها، فالشعب العراقي كان يرى بأن وجود أمريكا في أراضيه هو مجرد اِحتلال وأن كل شعاراته التي يتغنى بها أمام الملأ ليست سوا حجاب لتغطية الحقيقة وجوده، فنحن نعلم أن هذه الدولة إذا ما وطئت قدمها على مكان ما إلى من أجل اِستنزاف خيراته لآخر رمق، وهذا الأمر الذي كانت تراه في زينة أعين العراقيين الذين كانت تصادفهم أثناء اِنتقالها بين معسكرات الجيش الأمريكي حيث قالت:« كان هناك أطفال وصبية يبادلوننا الإبتسامة ولكن نظرات الكبار كانت تقول كلاما آخر، ثم تغيرت التعبير على سحنات. رائحة كريهة هبت من المزبلة، هل نحن مقرفون إلى هذا الحد؟ المزابل في كل زاوية والقرف اِستحال، بالتدريج،

حقدا. كأن هناك من وزع أقنعة مسرحية شريرة على كل أهالي المدينة، أسمع رفاقي في سيارات يقولون من وراء حزام الخوذة التي تغطي أفواههم: إنهم يكرهوننا ويريدون التخلص منا»[1].

ظل جد زينه يحتفل بيوم الجيش في كل سنة وبقي هذا التقليد حتى بعد موته، حيث حرصت زوجته على إحياء ذكرى هذا اليوم وذلك بإخراج الطقم العسكري وتحتفل به بنفس طقوس التي كان زوجها يقوم بها، وهذا من أجل التذكير بما دفعه الجيش العراقي من ثمن باهض لإبقاء ربوع الوطن آمنة، وقد حاولت رحمة وسعت جاهدة من أجل توريث هذا التقليد لحفيدتها الأمريكية بالطريقة نفسها التي كانت تحتفل بها مع زوجها العقيد يوسف الساعور «تلتقط جدتي الخرقة من يد الطاووس وتفرك النجوم المثبتة على الكاخي بتأني وحنان، وعندما تنتهي من تلميع تتحامل على نفسها وتقوم على الدولاب، كانت تتدلى من ظلفته العليا علاقة خشبية في عارضتها الأنيفة سروال أبيض مكوي بعناية، وبكثير من الحرس تلبس العجوز السترة على حدة العلاقة وتزررها (...) هل نسية يا زينة؟ اليوم ستة كانون الثاني عيد الجيش، حينها فهمت ما كانت طقوس، لقد كانت تعيد ما كان زوجها يفعله عاما بعد عام في مثل هذا اليوم من السنة ...»[2].

لقد كان العراقيون من الشعب يقوم بالتعاون مع جيش المقاومة ويوصلون إليه أخبار الخونة والمداهمات التي يقوم بها الجيش الأمريكي بين البرهة والأخرى وكذلك الجرائم الوحشية التي تحدث أثناء تلك المداهمات، هذا الأمر زاد من اِلتجاج جماح الثورة مما أدى إلى اِرتفاع نسبة الخسائر لدى الجيش الأمريكي سواء على الصعيد البشري أو المادي وكثرة اِغتيال المترجمين أين كانت جنسياتهم « تزداد شراسة ضباطنا كلما زادة خسائرنا ، صارت الناقلات الداخلة والخارجة من العيادة الطبية منظرا يوميا أراه ولا أتآلف معه ، بهذه الروح الساخطة على الموت»[3].

لم يكن مهيمن إبن الطاووس أقل من رحمة في تأثيره على زينة وتفكيرها فقد كانت شخصيته الفذّة التى لم يسبق لها رؤيتها وتعامله بطريقة راقية معها إليه شيئا فشيئا، فأصبحت تنتقي كلماتها

[1] إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص159

[2] المرجع نفسه، ص 153

[3] المرجع نفسه، ص153

أثناء حديثها معه وهي التي اِعتادت عدم الخوف والتكلم بكل حرية وجرأة أمام الرجال في أمريكا وندا لكل شخص يحاول مجاراتها في كلامه«face You، وددت لو ترجمتها له الشتيمة التي تطفر على لساني كلما قال لي أختي، لكنني أعض على شفتي تحشما منه، أول رجعل في حياتي يشعرني بالخجل، كل الآخرين كنت ندا لهم، ينكتون فأنكت ويشتمون فأشتم ويبتذلون فأبتذل، هو الوحيد الذي اِمتلك الهيبة، الصبي النحيل الملتحي الذي ينضوي تحت لواء الحركة الطائفية، قلب أحوالي ومارس علي سطوة المعشوق، تكفيني نظرة منه لكي أبتلع صوتي وقاموسي المتلف»[1].

نلاحظ أن سلطة الآخر التي يفرضها على الذات قد يكون لها اِنعكاسات نفسية مثل أن تجد الذات نفسها تقوم بتصرفات تتدفق من اللاوعي أو أن تحدث اِضطرابات داخلية هذا لو اِعتبرنا أن اللاوعي هو الجزء الأعظم والمسيطر على الذات البشرية وغالبا ما يكون نتاج تأثير سلوكيات المجتمع عليها من ثقافيا وعرفيا أو إيديولوجيا، مما يجعل الذات تتأثر بطريقة أو بأخرى وهذا ما أطلق عليه "كارل يونغ" بالوعي الجمعي.

2. تشظي الهوية:

مفهوم الهوية: يطلق هذا المصطلح على نسق من المعايير التي يعرف بها الفرد وينسب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة، كما أنه من المفاهيم المركزية التي تسجل حظوها دائما في مجالات العلمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الاِجتماعية ذات الطابع الاِجتماعي، ويعد أكثر المفاهيم تغلغلا في الحياة الثقافية[2].

1. الذات المشطورة:

إذا ما ركزنا على متن الرواية فإنه سيكشف لنا أن زينة كانت تروي لنا قصتها من خلال شخصيتين وهما شخصية "المؤلفة" و"المترجمة" فأولهما توحي إلى الهوية الوطنية المهددة بالاِنقراض داخل ذات زينة وما ينتابها من اِغتراب نفسي ومتأرجحة بين الوطن الأم والوطن

[1]أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص130

[2]كويزي صفاء: اِشكاليات الهوسة بين الأيديولوجيا والتاريخ عند أبو قاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير أكاديمي، قسم العلوم الإنسانية والاِجتماعية، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة – الجزائر، السنة الجامعية 2019/2020

الرّديف، أما الشخصية الثانية فهي المترجمة الفتات الأمريكية التي هدفها الأسمى هو مساعدة وطنها أمريكا الذي تربت بين أحضانه بعد أن تخلى عليها الوطن الأم، في كل مرة حاولت زينة أن تنكر أصلها العراقي كانت المؤلفة تأتي وتذكرها به وبأيامها التي كانت تقضيها في الموصل رفقة جدتها رحمة حتى أصبحت زينة تكره وجود هذه المؤلفة المجنونة بداخلها قائلة: «لا أرغب في الإستجابة لهذه المؤلفة اللوج التي تزاحمني على الكومبيوتر وتجلس لسقي الكتف للكتف كثنائي مرغما على بيانو واحد، إنها تريد أن ننقر معا بأربع أيادي وعشرين إصبعا، قصة الحفيدة الأمريكية العائدة الى جوار بيت عائلتها في بغداد، أنا لا اطيق هذه المؤلفة بجواري ادفعها عني وأتمرد على محاولاتها وأنقر على لمسات تمسح المكتوب على الشاشة»[1].

نلاحظ ان هذه المؤلفة كانت تحدث إرتباكا وخوف داخل ذات زينة وهذا ما يثبت الصراع النفسي الذي كانت تعيشه عند حضور تلك المؤلفة اليها، فكلما كانت تسيطر على زينة لتجعلها تفتخر بكونها أمريكية متحضرة والتي إنعكست حتى على كلامها مع جدتها رحمة وحيدر كلما كانا يحاولان إقناعها أن أمريكا دولة محتلة وأتت لدّمار والنهب لا من أجل حماية العراق وأهلها فكانت تلك المترجمة تجيبهم وهنا صورة لتعدد الشخصيات داخل الذات الواحدة أو ما يسمى في علم النفس إنفصام الشخصية، وهذا الأمر يكون نتيجة آليات للدّفاع على النفس ضدّ الصدمات الشدّيدّة التي يعاني منها الشخص، وقد إستخدمت الكاتبة هذا الأمر للإحالة إلى الهوية الهجينة الناتجة عن التشتت الذي طال البلد الواقع تحت صهوة الإحتلال والغارق في براثن التهجين والذي تطارده الأزمات وترمي به في أحوال من المشاكل الأبدية.

لقد كانت المؤلفة موجودة بجانب زينة في كل تفاصيل حياتها أثناء وجودها في العراق، وأن هذه الشخصية كانت تقوى أكثر بوجود الجدة رحمة ومهيمن الذي كان يذكرانها بأنها جزء من مجتمع العراق، وهذا الصوت يبعث بداخلها إحساس بهويتها العراقية وتجعل من شخصية المترجمة شخصية شريرة وملعونة حيث قالت:« تريد هذه الكاتبة الغريبة أن تغتالني كي تنال إعجاب النقاد

[1]أنعام كجه جي: الحفيدة الامريكية، ص34

الحمقى وسياسي التلفزيون ووطني زمن العصملي، تريد أن تجعل مني الشخصية الملعونة ومن جدتي بطلةً شجاعة مثل: امينة رزقي في فلم الناصر، تراني المؤلفة ربيبة للاِحتلال بينما ترى جدتي من نفائس المقاومة، أنا المجدلية الخاطئة والشابة ترجم بالحجارة بينما ترى جدتي عذراء في الثامنين تحمل بلا دنس»[1].

لقد كانت زينة دائماً في صراع بين شخصيتين، فأصبحت ضائعة بينهما وهذا ما نلمسه في قولها: «تعبت وتعب مني الكمبيوتر ضاق بطبع المؤلفة التي أرادت أن تلحق بي إلى ديترويت، تتبعني حتى آخر رمق تسجل انحدار قبل أن تنهض على طاولة الكتابة، تمط ذراعيها وتفرد ضهرها وتفق جذلا، تشرب نخب اِنتصارها على الحفيدة الأمريكية»[2].

بعد هذا الصراع وضعت زينة حد بين المترجمة والمؤلفة خلف ضهرها تاركة خلفها شجناً واِنكسارا داخل نفسها: «اليوم هو الخامس والعشرين من آذار 2008 مكتوب على الزاوية العليا للشاشة، اِنتهى عقدي مع الجيش ولم اجدده، عدت من بغداد بهذه الحصيلة من شجن مثل عسل مصفى، ثقيل ولزج وشفاف، يفيد في الليالي الأرق ويحرض على كتابة الشعر عذاب لا يصلح لتقوية الوهم والمعنويات لا يشد الوجه ولا يصوبن المفاصل، يقودني الشجن من يدي إلى غابة الأشجار الرمادية، وينساني هناك»[3].

بالرّغم من عودت أمريكا غير أنها لم تعد ترى في هوتها الأمريكية أي جدوى وأن ما عشته في العراق لا يمكن نسيانه، لقد عادت وهي فاقدة لذاتها ولشخصيتها القديمة حتى أنها فقدت المؤلفة التي كانت تريد أن تحتفظ بها.

وهنا نلاحظ هزيمة المترجمة ذات الأفكار الغربية أمام المؤلفة الأصيلة الشرقية، وهنا اِنتصار الهوية الأم على الهوية الغربة وهذا ما أشارت إليه زينة في قولها: «لن أتحمل رؤيتها ترفع عباءتها وتزهج مع الهازجين، لن أبقى هنا حتى يحين ذلك اليوم الذي حذرني منه مهيمن يوم

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص35

[2] المرجع نفسه، ص193

[3] المرجع نفسه، ص122

الهيلوكوبترات، دبرت للمؤلفة لغماً ودفعتها إليه، تخلصت منها كي لا ترى مقتلي، وجلست وحيدة أمام الشاشة أختتم حكايتي»[1] .

بالرغم من أن زينة اِختارت أن تقتل مؤلفتها غير أن غيابها قد خلف ورائها فجوة داخلها فبفقدانها خسرت كيانها واِنتمائها حيث قالت: «لن تصدق ليزا أنني فقدة مؤلفتي ونفسي، تدعوني للاِنضمام إلى جمعيتها وأنا عاجة للاِنتماء حتى إلى اِسمي»[2].

2. الذات بين وطن يرفضها ووطن ترفضه:

لم يكن صدع الاِسم وهجنة الذات المفارقة الوحيدة التي شكلت هوية زينة في الرواية إذ تكشف لنا الكاتبة في عملها عن مفارقة أخرى من مفارقات الهوية الرئيسة فهذه المفارقة لم أقل اِمعاضا من سابقتها، فاِرتحال زينة من العراق إلى أمريكا سبب لها تصدع في الثقافة في بادئ الأمر ومع مرير الوقت بدأت تتأقلم مع محيطها الأمريكي حتى أنها "بعت لصبغة ثقافته فأصبحت بذلك أمريكية حتى النخاع.

بعد عودة زينة إلى العراقة بدأت تسترجع طفولتها وهي تتأمل المناطق التي كانت تلعب فيها مع قريباتها الموصليات فكلما كانت مكان شرعت تخبر رفقائها الأمريكيين وعن رحلاتها المدرسية وهي في سن السادسة من تعليم الاِبتدائي «خرجت مني صرخة عفوية مني حين لاحظة في الأفق مؤذنة ملوية، تذكرت تاريخي الخاص في هذا المكان السفرات المدرسية وبنات السادية اِبتدائي بالضفائر والشرائط البيضاء وحلقات الرقص(...) ألهذا السبب ظلت تلك الأيام فضية في ذاكرتي(...) تماسكت في مواجهة جيش الحنين، وتصنعت ابتسامة لاهية وأنا أشير إلى الملوية وأقول للجالسين لقد اِرتقيت كل تلك الأبراج وأنا دون العاشرة، إرتقيتها حتى القمة».[3]

بالرغم من لأن عالة زينة كانت قريبة جدا منها وخاصة جدتها رحما وكن كانت رافضة فكرة أن تعمل حفيدتها في صفوف العدو وأنها خائنة للوطن وكانت تظهر لها رفضها هذا في كل فرصة

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص194

[2] المرجع نفسه، ص195

[3] المرجع نفسه، ص48

تتاح لها وهذا كان بارز في معظم فقرات الرواية نحو: «زينة يعني كانت ضرورية شغلتك الماسخة في المكان دي»[1].

لقد كانت زينة تنزعج من طريقة المسيئة التي كان يتعامل بها الجيش الأمريكي مع الأسرى العراقيين وهذا ما نلمسه في كلامها: «ليس عملنا تبديل التعذيب بالتعذيب قلتها بيني وبينه، ثم وقفت وكررت العبارة بالإنجليزية وتعمدت أن يسمعها الأخرون، اِلتفتوا نحوي ونظروا إلي بِاستغراب كأني الناطقة الرسمي بِاسم العدو، في أحسن الأحوال بِاسم "آمنسيتي ناشيونياليتي" ضايقتني نظراتهم اِنصرفت غاضبة إلى القفص الحديدي الذي يسمونه غرفة النوم، وبقيت هناك إلى اليوم التالي وأنا سجينة سخطي، لما نظروا إلى بهذه الطريقة أنا أدافع على وطني»[2].

كان سخط العراقيين يزداد على الاِحتلال مع مرور الوقت وكان ذاك واضحا حتى في نظراتهم وتصرفاتهم، لاحت زينة ذاك الأمر ولكنها لم تبالي به، لأنها ليست معنية، فهي عراقة الأصل والمولد فمن المستحيل أن يكرهها شعبها، فهي منهم أكلت من أكلهم وتتكلم لهجتهم ولعبت في شوارع هذا البلد في صغرها حيث قالت: «لا أريد تصديق ما أسمع أحاول الاِعتقاد بأنني لست معنية بالأمر، أنا عراقية الأصل والمولد لا يمكن أن يكرهني أهل بلدي الذين يشبهوني في سمرتي، وأشبههم في الملامح واللغة»[3].

ليأتيها الردّ الذي كان مثل السكين التي قطعت فؤادها شطرين من صديقتها المقربة: «إنهم يكرهونك أكثر منا... كيف لا تفهمين، كانت ديبورا صادقة معي في نصف الحقيقة، إن الحقيقة كاملة أن العراقيين يعتبرون رفاقي محتلين، جنود يؤدون خدمتهم وينفذون الأوامر لا يدّ لهم في قرار الحرب، مثلهم مثل العراقيين في حرب إيران وغزو الكويت، أما أنا فيرونني عميلة خائنة»[4].

---

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص75

[2] المرجع نفسه، ص155

[3] المرجع نفسه، ص159

[4] المرجع نفسه، ص 159

إن كلام ديلورا جعل زينة تفتح عينيها على لوحة مشوهة تأذي بصر كل من رآها، هل هذه النظرات التي يرها بها العراقيون خارج أصوار المراكز الأمريكية هي نفسها النظرة الإِحتقارية التي تراها بها جدتها وأمها الطاووس وأخها حيدر؟ هل هي نفس النظرة التي يراها بها حبيبها مهيمن هل هو يكرهها لدرجة إذا سمحت له الفرصة بقتلها فإنه لن يتردد في فعل ذلك ليمسح عار أخته الأمريكية؟ وهذا عكس على كلامها حينما قالت: «تفتحت عيناي على لوحة كاحله تؤذي البصر هل تراني جدتي هكذا؟ وأمي طاووس وإبنها حير؟ هل سيكرهني مهيمن ويتمنى موتي؟ حلمت به في إحدى الليالي يخطفني إلى مكان مجهول، لم يكن الفارس الذي يخطف محبوبته إلى البراري على حصان أبيض، حملني على حين غفلة وألقاني مقيدة اليدين ومحكمة الفم، في صندوق "تويول" بيضاء وسلمني إلى جماعته في جيش المهدي»[1].

عاشت زينة حالة من الضياع بين وطنين، الوطن الذي حملت جنسيته والوطن الأم العراق الذي كان يرفض أن يحمل بين أحشائه إبنة عاقة خائنة لأصلها، أكلت زينه حياتها وهي مثل كلب ذو بيتين كما سمتها أمها الطاووس، فلا هي تنتمي إلى وطنها الحبيب العراق الذي تعلمت حبه من جدتها والطاووس وأخويها مهمين وحيدر ولا هي أمريكية كما كانت سابقا قبل التجنيد لأنها أصبحت لا تطيق الحياة التي يعيشونها هناك، فالجنسية الأمريكية خاصتها تحولت عندها من وصمة فخر إلى وصمة عار بعد حرب العراق.

نلاحظ أن الروائية كانت دائما تنتصر لشخصية المؤلفة الشخصية ـ الشخصية الأولى التي تحملها زينة في جزء اللاوعي داخل ذاتها ـ وجعلتها دائما تنجح في إذلال شخصية المترجمة الأمريكية وهذا الإِنتصار كان يحلم به كل عراقي على إختلاف مذاهبهم، لأن الهوية ليست أمرا ثابت لدى الإنسان أو هي مجرد صورة ملازمة لحياته، وإنما هي تطور وتغير وإنسجام مع الوسط الذي يعيش فيه المرء، لتتحول مسألة الهوية إلى مسألة وجودية مما يضع زينة تحت وطأة

[1] أنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص160

الكوجيتو الهاملتي الوجودي: أن تكون أو لا تكون، فتتلون الحياة بالهويات السوداء التي تنسخ الإنسان عن إخوانه وأبنائه وأحفاده[1].

[1] خلود نهاد: هاجس الهوية في الرواية العراقية قراءة في أعمال أنعام كجه جي ولطيفة الدليمي (نماذج مختارة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث l.m.d، قسم اللغة العربية جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، السنة الجامعية 2022/2023، ص92

خلاصة الفصل:

تناولنا في الفصل الثاني ثلاث مركزيات للنظرية مابعد الكولونيالية:

1. ثنائية الشرق والغرب: تطرقنا لتفكيك هذه الثنائية ورصد أحداثها من خلال الرواية وأهم الأسباب التي أدت إلى اِشتعال نيران الصراع الشرق الذي مثلته العراق والغراب المتمثل في الولايات الأمريكية المتحدة.

2. ثنائية الأنا والآخر: قمنا بدراسة هذه الثنائية من خلال عنصرين أولهما كان تحت عنوان الأنا وانسجامه مع الآخر، أما العنصر الذي تلاه كان بعنوان الآخر وسلطته على الأنا أو الذات وفيهما اِكتشفنا أنه ليس من الضروري أن يكون الآخر من نفس محيطك الاِجتماعي أو الثقافي كي تتمكن الذات من التأقلم معه، فزينة بالرغم من أنها كانت عراقية غير أنها اِستطاعت أن تنسجم مع الأخر الأمريكي، بل ذابت في مجتمعه حتى غدت جزء منه، أما العنصر الثاني فقد رأينا كيف يمكن للآخر أن يكون له قوي على الأنا حيث أنه إذا لم تستطع الأنا الانسجام مع ذاتها فإن الآخر قد يحدث فجوة كبيرة داخل كيان الشخص هذا التأثير قد ينجم عليه تأثير إجابي فيحدث اِنسجام وتناغم للذات مع نفسها أو أن يكون له تأثير سلبي يأدي إلى اِنشطار واِنفصام شخصية فتصبح الأنا بذلك دائمة الصراع مع نفسها مما يأدي إلى عواقب وخيمة في نهاية المطاف.

3. تشظي الهوية: في هذا العنصر قمنا بدراسة الاِنشطار الذي التي عاشته زينة حيث اِنقسمت هويتها إلى هويتين الهوية العراقية والتي مثلت دورها "المؤلفة" هذه الهوية التي تحمل بداخلها القيم والثقافة العراقية والتي كانت تشاحن زينة وتعيدها لأصلها كلما حادت هنه، أما الهوية الأمريكية فقد مثلتها "المترجمة" هذه الشخصية التي تحمل في شراييها الاِنتماء الأمريكي، والفخر الكبير الثقافة الأمريكية المتحضرة والمتقدمة، والتي تحمل في رحمها كل أنواع الدمقراطية والحرية.

ظلت هتين الشخصيتين في صراع دائم داخل زينة لتكون الغلبة في الأخير للمؤلفة العراقية الأصيلة وهذا الأمر هو اِنتصار للهوية الأصل حيث أثبتت هذه الشخصية أنه مهما كان الغرب قويا بثقافته وشعراته الواهمة الوهمية التي أقنع العالم بها غير أنه لم يستطع هزم شر هزيمة أمام

الهوية الأصل المتمسكة بثقافتها وبدينها وإيمانها التام أن الوطن لا يمكن تعويضه وأن الإِنتماء القومي لا لأي قوة على وجه الأرض أن تستبدله لأنه ببساطة يشكل الركيزة الأساسية لكيان الشخص.

خـاتـمــة

بعد متابعة مسار نظرية مابعد الكولونيالية وعملية تأصيلها، وذلك من خلال التركيز على الأسسها الفلسفية، ومن ثم استعراض الشخصيات المهمة والمفكرين الذين ساهموا في تطويرها، حيث قيامنا بدراسة تطبيقية على نموذج من النصوص الكولونيالية والموسوم ب: "الحفيدة الأمريكية" للكاتبة العراقية "أنعام كجه جي" توصلنا في النهاية إلى سلسلة من النتائج التي يمكن عرضها على النحو الآتي:

1. بعد فترة الثمانينيات شهدت النظرية مابعد الكولونيالية ازدهاراً ملحوظاً في الساحة النقدية العالمية، حيث حققت تقدماً سريعاً وملموساً خلال فترة زمنية قصيرة، وقد اِستفاد كتّاب العالم الثالث بشكل كبير من هذه النظرية بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة في إفريقيا وآسيا، وذلك لمواجهة التفوق الغربي وتصفية المفاهيم الأوروبية والأمريكية، وهذا من خلال اِعتماد نهج منهجي متشعب يشمل التحليل الثقافي والسياسي والتاريخي والمقارنات بين الثقافات.

2. إن النقد ما بعد الكولونيالي هو نقد يستهدف فترة مابعد الاستعمار وينظر إلى كيفية تأثير الاستعمار على الهويات والعلاقات الاجتماعية والسياسية في العالم المعاصر، ومن النقاط الرئيسة التي يسعى لها هذا النوع من النقد هو استكشاف الطرق التي يمكن للثقافات المستعمِرة أن تسترد هويتها وتنشئ مسارها الخاص نحو التقدم والتطور دون تأثير الاستعمار.

3. إن هدف كتابات مابعد الكولونيالية هو التخلص من التراكمات والتأثيرات التي خلفتها السياسات الاستعمارية في مختلف المجالات الثقافية والمعرفية وبالتالي فمهمتها كان إعادة النظر في العلاقات والتمثيلات والأحداث التي نشأت عن هذه العملية التاريخية مما يمكنها من تجاوز الأثر السلبي للماضي الاستعماري، كما سعت إلى اِعادة الإعتبار للهامش والحضور الذاتي للثقافات التي تم اِهمالها من طرف النظام الاِستعماري.

5. لم تحظَ نظرية مابعد الكولونيالية بالاهتمام الكافي في ساحة النقد العربي، ولم يتم استثمارها وتفعيل مبادئها المحورية بالشكل الذي يستحقه، على الرغم من الدور الهام الذي لعبته في المجتمعات الغربية. ويعود هذا الأمر جزئيًا إلى عائق الترجمة، حيث إن معظم مؤلفات للنظرية

مابعد الكولونيالية والمصادر الأساسية لها كُتبت باللغة الإنجليزية نظرًا لأن بيئتها الفكرية الأصلية كانت في العالم الأنجلوساكسوني ومع ذلك نجد بعض الدراسات التي بذلت جهودًا جسيما لتسليط الضوء على هذا المجال المتنامي في العالم العربي، على الرغم من التحديات التي تواجهها، مما يشير إلى الاهتمام المتزايد بهذا الموضوع والرغبة في اِستكشافه وتطويره في الساحة العربية.

6. تجلى منهج مابعد الاستعمار بوضوح عبر جهود المفكر العالمي والناقد الأدبي، إدوارد سعيد في كتابه الرائد "الاستشراق". من خلال هذا العمل، حاول سعيد إبراز الجوانب التاريخية والثقافية للهيمنة الفرنسية والبريطانية، مما أدى إلى تسليط الضوء على تحول السيطرة بعد الحرب العالمية الثانية نحو الولايات المتحدة الأمريكية كقوة استعمارية ناهضة، كما يُعتبر هذا الكتاب من الأعمال المميزة التي ساهمت في تسليط الضوء على التحولات الجديدة في الهيمنة العالمية وتأثيرها على السياق الثقافي والسياسي العالمي.

7. حاولت الكاتبة العراقية "أنعام كجه جي" من خلال روايتها تسليط الضوء عن موضوع مهم وهو الهجرة الإجبارية من أراضي الوطن بحثا عن الأمن في أوطان أخرى بسبب الحروب أو المطاردات السياسية فجسدت هذا الموضوع في شخصية والدي زينه اللذين هاجرى إلى أمريكا قصرا وهروبا الإعتقالات السياسية أثناء حرب العراق مع إيران.

9. لقد طرحت "أنعام كجه جي" موضوع حساس وهو الصراع الأنا والآخر حيث شكل أحد موضوعات المركزية في الرواية، هذا الموضوع الذي يعكس الصراع المعقدة بين الهوية الذاتية والهوية الآخر، حيث يتم تشكيل الهوية الذاتية للشخص أو الثقافة في سياق التفاعل مع الآخرين، وخاصة في سياق العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر.

10. لقد ركزت الرواية على كيفية تشكيل وتصوّر الهويات الجماعية في سياق السلطة والهيمنة الاستعمارية، حيث تعتبر الهوية الذاتية (Self) عادةً الهوية التي يشعر الفرد أو المجتمع بالانتماء إليها، بينما يُعتبر الآخر (Other) الفرد أو المجتمع الذي يُشاهَد بصفته مختلفًا أو غير مألوف.

11. حاولت "أنعام كجه جي" من خلال روايتها إبراز الصراع الأزلي القائم بين الشرق والغرب حيث قامت بكشف بعض الأساليب التي يستخدمها الغرب من أجل اِستعمار والسيطرة على الدول الشرقية مثل إتهامهم بعد الجماعات الأرهابية أو أمتلاكم أسلحة الدمار الشاملة الذي يهدد أمن العالم كما فعلت مع العراق.

12. في عنوان "الحفيدة الأمريكية"، نجد تجسيد لاستكشاف معاني الهوية والتحرر، حيث تتجلى رحلة البحث عن الذات في عالم مليء بالتحديات والتعقيدات، إن هذه الرواية ليست مجرد سرد لأحداث، بل هي مرآة تعكس تجارب الإنسانية ومسارات النضال نحو الحرية والتحرر، كما توفر القصة منصة لاستكشاف تجارب الشخصيات وصراعاتها الداخلية، وكذلك تأثير التحولات الاجتماعية والسياسية على هوية.

هذه هي أهم الخلاصات والنتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وتبقى هذه الخلاصات محفوفة بنقائص عديدة، تحتاج من الباحثين ملأ فجواتها، من أجل الوصول بهذا البحث إلى درجة القبول ومن اجتهد وأصاب فله أجران ومن جتهد ولم يصب فله أجر واحد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

*أنعام كجه جي:

1. الحفيدة الأمريكية

*إدوارد سعيد:

2. المثاقفة والإنبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع–بيروت– لبنان، ط2014.

3. الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عيناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006

ثانيا: المراجع:

أ. المراجع العربية:

*أحمد عبد الحليم عطية:

4. نيتشة وجذور ما بعد الحداثة، دار الفرابي ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

*إدريس الخطراوي:

5. الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنشر ـ الرباط ـ المغرب، ط1، 2007

* جمال حمداوي:

6. نظرية مابعد الكولونيالية أطروحة في خدمة علم الإستغراب، مجلة الاستغراب، يناير 2018

* حفناوي بعلي:

7. مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، دار العربية للعلوم –ناشرون– لبنان، ط الأولى، 2007

*حميد دباشي:

8. هل يستطيع الغير الأروبي التفكير، ترجمة: عماد أحمد، منشورات متوسط ـإيطاليا، ط2016.

*رامي أبو شهاب:

9. الرسيس والمخاتلة خطاب مابعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ـ بيروت ـ لبنان، ط 2013.

ب. المراجع المترجمة:

* أوما ناريان وساندرا هاردينيج:

10. نقض مركزية المركز من أجل عالم متعدد الثقافات بعد- الإستعمار والنسوي، ترجمة: يمنى ظريف خولي، عالم المعارف- الكويت-، ج1، ديسومبر 2012

*أليفيا شوته:

11. الغيرية الثقافية: التواصل العابر للثقافات والنظرية النسوية في سياقات الشمال – الجنوب، ترجمة يمنى طريف الخولي، نقيض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد الاستعماري والنسوي ج1.

* آنيا لومبا:

12. في نظرية الإستعمار وما بعد الإستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع-سوريا-، الطبعة الأولى، 2007.

*بيل أشكروفت:

13. دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي وأيمن حلمي وآخرون، المركز القمي للترجمة العدد1681، ط2010.

14. الرد بالكتابة (النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة)، ترجمة: شهرت العالم، المنظة العربية للترجمة، ـ لبنان ـ، ط الاولى، 2006.

* بيلا غاندي:

15. نظرية مابعد الكولونيالية مدخل نقدي، لحسن أحمامة، صفحة سبعة للنشر والتوزيع ـ المملكة السعديةـ، ط الأولى،20121.

* جون سكوت:

16. خمسون عالما إجتماعيا أساسيا المنظور المعاصر، ترجمة: محمود محمد حلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر –لبنان-، ط1، 2009.

*دوجلاس روبنسون:

17. الترجمة والإمبريالية ترجمة ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، العدد886، ط2005.

* ديفيد كارت:

18. النظرية الأدلبة، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين ـ دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، سنة 2001.

*فرانز. فانون:

19. معذبون الأرض، ترجمة: سامي دروبي وجمال الأتاسي، منشور أنيب، دار الفرابي ـ بيروت ـ لبنان، ط1، 2004

* هومي بابا:

20. موقع الثقافة، ترجمة كمال أبو ديب، المجلس الأعلى للثقافة –القاهرة– مصر، ط الأولى، 2004.

ج. مراجع مترجمة:

21.peter childs and R.J Partick williams an introdudon to post colonial theory.

ثالثا: المعاجم والموسوعات:

22. محمود قاسم: موسوعة الأدباء نهاية القرن العشرين، الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة، ط1 2000.

رابعا: المجلات والصحف والمجلات:

أ. المجلات الإلكترونية:

*حلون جيلالي:

23. علاقة الأنا بالآخر في فلسفة جون بول سارتر، مخبر الفينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 09، 2018

*سعيدة عيشونة:

24. النظرية مابعد الكولونيالية قراءة في المفهوم ومجال البحث، مجلة كلية الأدب والغات، جامعة خنشلة، العدد الأول.

25. قراءة في مفاهيم ومجال البحث، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة الصديق بن يحي - جيجل - الجزائر.

*عدنان لكناوي:

26. النظرية ما بعد الكولونيالية "قلق الموقع وتشعب الجذور"، مختبردراسات اللغة العربية جامعة محمد الشريف مساعدية - سوق أهراس - الجزائر، المجلد 22، العدد الأول، ديسمبر2022، l.adnene@univ-soukahras.dz

*كمال رمضاوي وعبد المجيد عمراني:

27. سيكولوجيا الإستعمار من منظور فرانز فانون، مجلة العبر للدراسات التاريخية والإثرية في شمال إفريقيا، المجلد 05، العدد الأول، يناير2022، مخبر حوار المحاضرات والعولمة جامعة الحاج لخضر- باتنة، Ramdanikane12019@gmail.com

*لمياء مرتاض:

28. توضيف الفرنسية في العامية الجزائرية، جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم – الجزائر، ص87

*مداني زقيم وسعيدة جلايلية:

29. اسوارد سعيد النقد الثقافي نموذج من قرائته الطباقية: قلب الظلام لجوزيف كونراد وموسم الهجرة إلى الشمال ل طيب صالح، مجلة أبوليوس، العدد السادس، جانفي 2017، جامعة سوق أهراس.

*هويدا صالح:

30. الصورة الروائية للمثقف، مجلت العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ط657، أغسطس 2013.

خامسا: المؤتمرات والندوات:

* ن. شمناد:

31. خطاب مابعد الإستعمار في النقد العربي، ندوة وطنية حول تطورات الجديدة في النقد الأدبي، قسم العربية، كلية العلوم الاجتماعية، لا برنتلمناكيرلا، 22 أكتوبر 2013.

سادسا: الرسائل الجامعية:

*بوحيرش نادية:

32. نظرية مابعد الكولونيالية والتلقي العربي، جامعة محمد صديق بن يحيي جيجل، السنة الجامعية:2016/2015.

*جمال مباركي:

33. الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث في الأدب العربي الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر–باتنة– الجزائر، السنة الجامعية 2008/2009.

*خلود نهاد:

34. هاجس الهوية في الرواية العراقية قراءة في أعمال أنعام كجه جي ولطيفة الدليمي (نماذج مختارة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث l.m.d، قسم اللغة العربية جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر، السنة الجامعية 2022/2023

*رابح مناجلي:

35. الرد بالكتابة في الخطاب الكولونيالي في الرواية الإفريقية، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 02 أبو قاسم سعد الله، قسم الآداب واللغة العربة، سنة 2020/2019.

*كويزي صفاء:

36. إشكاليات الهوسة بين الأيديولوجيا والتاريخ عند أبو قاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير أكاديمي، قسم العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة – الجزائر، السنة الجامعية 2019/2020

سادسا: المواقع الإلكترونية:

*باتريك جاكسون:

37. هجومات 11سبتمبر ولماذا حدث في ذلك اليوم؟، موقع BBC NEWS، حرر يوم 12.

تاريخ الأخذ: 2024/05/12.

الرابط: https://www.bbc.com/arabic/world-58179102?fbclidP

*طه العناني:

38. ذكرى سقوط بغداد... بعد 19 عاما على غزو الأمريكي ماذا سيتذكر العراقيين، موقع الجزيرة، حرر 2022/04/09.

تاريخ الأخذ 2024/05/12.

الرابط: https://www.aljazeera.net/news/2022/4/9

*عبد المنعم أحمد:

39.النظرية مابعد الحداثة وتفسيرها لمتغيرات العصر، بوابة الأهرام بالقاهرة مصر، 02/12/2019

تاريخ الأخذ: 13/03/2024

الرابط: https://gate.ahram.org.eg/News/2332583.aspx

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة:
شكر وتقدير	
مقدمة	أ–د
المدخل: الحقل الإصطلاحي لنظرية ما بعد الكولونيالية مفاهيم رئيسية	06
الفصل الأول: نقد ما بعد الكولونيالية: نشأته وأعلامه ومرتكزاته وتجلياته في البيئة العربية	
تمهيد	20
المبحث الأول: نشأة النظرية مابعد الكولونيالية	20
المبحث الثاني: أعلام النظرية مابعد الكولونيالية	29
1. فرز قانون franzfanon	29
1. 1. بشرة سوداء وأقنعه بيضاء	30
1. 2. المعذبون في الأرض	33
2. إدوارد سعيد: Edwardsid	34
3. هومي بابا homi K. Bhabha	38
المبحث الثالث: مرتكزات مابعد الكولونيالية	43
1. ثنائية الشرق والغرب	43
2. مواجهة التغريب	43
3. علاقة الانا بالاخر	44
4. الدفاع عن الهوية القومية	44
5. الدعوة الى علم التغريب	45
7. النقد الذاتي	45
8. التعددية الثقافية	46
المبحث الرابع: النقد مابعد الكولونيالية في البيئة العربية	46
الفصل الثاني: الحفيدة الأمريكية دراسة تطبيقية على ثنائية الأنا والآخر، الشرق والغرب، تشظي الهوية	
تمهيد	60
أولا: تلخيص الرواية	61

ثانيا: تطبيق الآليات النظرية	26
المبحث الأول: دراسة ثنائيتين الشرق والغرب والأنا والآخر	63
1. مفهوم الثنائية	63
1.1. ثنائية الشرق والغرب	70
3.1. ثنائية الأنا والآخر	72
1.2. الأنا وإنسجامها مع الآخر	75
3.2. الآخر وسلطته على الأنا	78
المبحث الثاني: تشظي الهوية	75
1. الذات المشطورة	81
2. الذات بين وطن يرفظها ووطن ترفضه	82
خاتمة	85
قائمة المصادر والمراجع	91
فهرس الموضوعات	97
ملخص الدراسة	

ملخص الدراسة:

وقع الاشتغال في هذه المذكرة على موضوع بعنوان: " نقد مابعد الكولونيالية، دراسة تطبيق لرواية الحفيدة الأمريكية لإنعام كجه جي"، وإذا أردنا تعريف النقد مابعد الكولونيالي بشكل بسيط فهو عبارة على توجه نقدي يركز على تأثير الاستعمار والهيمنة الثقافية السابقة للبلدان المستعمرة على هويتها وتطورها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بعد الاستقلال.

يهدف هذا النوع من النقد إلى فهم التبعيات العميقة للفترة الاستعمارية وتأثير الاستعمار على ثقافة الشعوب المستعمرة، وقد تناولنا في هذه الدراسة: المقابلات الاِصطلاحية لنظرية مابعد الكولونيالية ومن ضمن هذه المقابلات: الاستعمار؛ الإمبريالية...، ثم تطرقنا إلى نشأة النظرية مابعد الكولونيالية، وأهم أعلامها؛ مرتكزاتها، وتجلياتها في البيئة العربية، وقمنا بتطبيق هذه المرتكزات على الرواية المذكورة أعلاه ومن ضمن هذه المرتكزات ثنائيتي الشرق والغرب وثنائية، وتشظي الهوية في الرواية، وقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى كشف عن الروابط العميقة بين الثقافة والسلطة، من خلال ملاحقة الاستعمار الغربي وتتبع أماراته على دول العالم الثالث، التي تصبغت بصبغته إذ أصبح مثل السم الذي يجري في شراييه.

summary:

Our study delved into the topic of "Post-Colonial Critique: An Application to the Novel 'The American Granddaughter' by Inaam Kachchi." In simple terms, post-colonial critique focuses on the impact of colonialism and the preceding cultural hegemony on the identity and development of countries after gaining independence. This type of critique aims to understand the deep repercussions of the colonial period and its continuous influence on the affected peoples, cultures, and economies, In this study, we examined the terminological interviews related to post-colonial theory, including terms like colonization and imperialism. Then, we delved into the emergence of post-colonial theory, its key figures, foundations, and manifestations in the Arab environment. Finally, we applied these foundations to a colonial novel model named "The American Granddaughter," focusing on binaries such as East and West, as well as the self-other binary. We also explored identity fragmentation in the novel, through this study, we sought to uncover the profound links between culture and power by tracing Western colonization and its

ramifications on third-world countries, which have become saturated with its influence like a poison coursing through their veins.